

روايات مصرية للجيب
لك قلبي




زهور
٢٨




د. نبيل فاروق



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

## لك قلبى

ليت شعرى أى حب ينزوى
فى قاع قلب ماله من قرار
أى نهر يستجير ليرتوى
من شفاه مالها فى الحسن جار
يا ويلتى من أى نبض يكتوى
لهب القلوب بلا عذاب أو مرار
رحماك حبى ، فى جحيمك أنتوى
وأد الحياة مفاخر بالاختيار
من دون حبك فى حياتى يستوى
أكليل نصر .. أو مغبة عار

(نبيل)



# ١ ـ ذكريات ..

لست أدرى لماذا قررت أن أكتب هذه القصة ! .

لست أدرى حتى لماذا اخترت هذا الوقت بالذات لكتابتها ! ..

ولا كيف استيقظت فى عقلى هكذا ، فجأة ، بعد عشر سنوات كاملة ..

إنها قصة قديمة ..

قصة واقعية ، عشت كل أحداثها بنفسى ، وإن لم أكن أبداً طرفاً من طرفيها ، اللذين لم أتصوَّر أبداً ، طوال معايشتى للقصة ، أن ينتهى بهما الأمر إلى ما انتهى إليه ..

ولكن لماذا تذكرت قصتهما الليلة ؟ ..

ربما كان ذلك بسبب خلافى مع زوجى ، الذى بلغ اليوم ذروة تنبئ بالخطر ..

أو بسبب تلك الزيارة ، التى عدنا منها منذ ساعتين تقريباً ، والتى كانت السبب فى ارتفاع مؤشر توتر

زوجى ، وازدياد التباعد بيننا على نحو مفاجئ ملحوظ ..

أليس هذا عجيباً ؟! ..

إنكم تعرفوننى جميعاً ، من خلال ذلك الباب المتواضع ، الذى أحرِّره فى تلك المجلة خفيفة الظل ، ذات الانتشار المشرِّف ..

تعرفون أننى المسئولة عن باب مشاكل القراء ..

تصوَّروا ..

من المفروض أننى حلاَّلة العقد والمشاكل ، وأن الجميع يولونى كل ثقتهم ، لحل مشاكل حياتهم ، التى لا أعرف عنها سوى ما أورده كل منهم فى خطابه ، بكلمات وعبارات ، تتراوح ما بين منتهى الركاكة ، ومنتهى البلاغة ، وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أشتعل حماساً ، وأنا أطلب من معذَّبة (أسوان) مواجهة أسرتها بحبها العنيف ، وأُناشد محبة ( الإسكندرية) ترك حبيبها المخادع و .. و .. و ..

ولكننى أبداً لم أعلم ماالذى أسفرت عنه نصائحى تلك ..



كان الأمر – بالنسبة إلىَّ – ينتهى بانتهائى من إلقاء النصائح ، وبعدها تبدأ مهمة مدير التحرير ، وقسم الجمع والطباعة ، إلى أن تصبح المجلة بين يدى القرّاء ، فتتحوَّل المشكلة عندئذ إلى فضيحة ، تتداولها كل الألسن ، وتقرؤها كل العيون ، وتنهال عليها عشرات النصائح المختلفة ..

ولكننى أعجز تماماً عن حل مشكلتى الخاصة ..

وصدقونى ... إن هذا يدهشنى للغاية ..

فهذه هى المشكلة الوحيدة ، التى أعلم كل تفاصيلها ، وعلى نحو بالغ الدقة، ولكننى أعجِزُ عن حلها تماماً ..

ربما لأننى أعلم أن زوجى هو المخطئ ..

نعم .. إنه كذلك ..

إنه مثلى ، صحفى بنفس المجلة ، التى أعمل بها ، وهو صحفى ناجح وشهير للغاية ، حتى أن مجرَّد ذكر اسمه يدفع شهقة إعجاب إلى الحلوق ، ونظرة انبهار فى العيون ..

ولكنه متخلـّف ..

نعم .. متخلـّف ورجعى ..

قد لا يروق لكم استخدام تلك العبارات ، ولكنها الحقيقة ..

تصوَّروا .. إنه يطلب منى أن أترك عملى ، وأكتفى بكونى زوجته ..

تصوَّروا ..

إنه يطالبنى بأن أقصر حياتى على اهتماماته هو ، وطموحه هو ، وتربية ابننا (ماجد) وابنتنا ( نرمين) ..

وهذا طبعاً مستحيل ..

مستحيل .. مستحيل .. مستحيل ..

لماذا لا يستقيل هو ؟ ..

إنه يحصل على نفس المرتـّب الذى أحصل عليه أنا ..

صحيح أنه يملك دخلا إضافيًّا ، من كتبه ، التى تلقى رواجاً كبيراً ، إلا أن هذا لا يمنحه الحق فى أن يطالبنى بمحو مستقبلى من أجله ..

أتعلمون لماذا بلغ خلافنا ذروته الليلة ؟ ! ..



لأننا عدنا من زيارة زوجين سعيدين ، كنا نهنئهما بقدوم مولودهما الثانى ..

لقد رأى فيهما زوجى تلك الصورة التى يحلم بها ..

رأى زوجة محبة ، مطيعة لزوجها ، متفانيـــة فى خدمته ، وخدمة ولديها منه ، لا تعارضه أو تشاكسه أبداً ..

وزوج محبّ حنون ، يحيط زوجته وابنيه بجناح الرحمة والعطف ..

هذا ما رآه زوجى ..

أما أنا ، فقد رأيت شيئاً مختلفاً ..

رأيت امرأة خانعة مسكينة ، تلاشت شخصيتها تماماً أمام شخصية زوجها ، وفى رعاية ابنيها ..

وزوج متسلـّط يلبس ثوب الرحمة ..

هذا ما رأيته أنا ..

ولقد كاد هذا الاختلاف فى الرؤية يتسبَّب فى انفصالنا أنا وزوجى ، عند عودتنا من تلك الزيارة ، حينما بدأ هو يقـــارن بين الدفء المحيط بتلك الأسرة

ـ على حد قوله ـ والبرودة المنتشرة فى منزلنا ..
بين اهتمام تلك الزوجة بزينتها ومظهرها ، وإهمالى
لمظهرى ، من شدة انهماكى واهتمامى بعملى ، وهذا
على حد قوله أيضاً ..
وكان من الطبيعى ألا أسمح له بالتمادى ..
لقد أوقفته عند حده ..
شخصيتى التى بذلت جهداً لتكوينها وصقلها ،
طوال تلك السنوات ، تأبى أن أسمح له بالانتصار علىّ ؟
لذا فقد انتصرت ..
واصلت مناقشته ، ومعاندته ، حتى استسلم ،
وزفر فى قوة ، ثم ذهب إلى حجرته ، وأغلق بابها
خلفه فى عنف ..
ولكننى لم أشعر بطعم الظفر ..
لقد كنت واثقة من أننى قد انتصرت ، إلا أن
ذلك النصر كان يترك فى حلقى مذاقاً عجيباً ..
مذاق الهزيمة ..
كان نصراً عجيباً غريباً حقاً ..



وربما لهذا تذكرت تلك القصة ..
قصة ( عزة ) ..
و ( عزة ) هذه هى زميلة من زميلات طفولتى ..
نشأنا معاً ، وترعرعنا معاً ، وسرنا جنباً إلى جنب
حتى النهاية ..
كانت لنا نفس الميول ، ونفس المشارب ..
نفس الأذواق والأهواء ..
حتى دخلنا معاً كلية الإعلام ..
لست أدرى لماذا تختلف الشخصية اختلافاً تامًّا ،
فى المرحلة الجامعية بالذات ؟! ..
هذا يحدث لكل الجامعيين تقريباً ..
كلهم ، إما أن يشملهم انطواء مفاجئ ، أو ينفتحون
على الحياة فجأة ..
ولقد كانت ( عزة ) من النوع الثانى ..
لم تكد تلتحق بالجامعة ، حتى خيِّل إلىَّ أن ثقتها
بنفسها قد تضاعفت ، وأنها قد صارت مخلوقاً أكثر
نضجاً ونشاطاً ..

لقد تحولت فى الواقع ، وكما يقول الأدباء ، إلى شعلة نشاط ..

ومع العام الثانى فى الجامعة ، كانت عضواً بارزاً فى معظم الأنشطة الثقافية والفنية ، وفى لجان الجوّالة واتحاد الطلاب .

وكانت شديدة الاعتداد بنفسها إلى حد كبير ..

ولكن جزءاً من شخصيتها كان يخيفنى بشدة ..

إنه بساطتها الشديدة ، ومرحها الدائم مع الجميع .

إن مجتمعنا الشرقى لم يعتد أبداً — حتى الآن — مرح الفتيات وبساطتهن ..

إنه ينسب كل ذلك دوماً إلى الفجور وقلة الحياء ..

وهذا ما كنت أخشاه على ( عزة ) ..

ولكننى ما زلت أذكر حادثاً شديد الأهمية ، أزال من نفسى ذلك الخوف عليها ، وجعلنى أشعر تجاهها بالفخر والتقدير ، وأتخذ منها مثلاً أعلى ، على الرغم من أننى أكبرها ببضعة أشهر ..

كان ذلك فى أثناء الإعداد لحفلة من حفلات الكلية ،



التى كانت هى إحدى أعمدتها الضرورية ، وكانت منهمكة فى إعداد ديكورات الحفل ، وأنا أشاركها مشاركة متواضعة ، عندما اقترب منها زميل ، كان يرأس اللجنة الفنية باتحاد الطلاب — آنذاك ، ويحتل اليوم موقعاً مرموقاً فى إحدى الصحف الحزبية المعروفة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة لم ترق لى ، وهو يقول لها فى لهجة أقرب إلى الثعالب :

— جهد عظيم يا ( عزة ) .

ابتسمت ( عزة ) فى مرح ، وهى تلتفت إليه ، قائلة :

— من بعض ما عندكم أيها العبقرى .

مال نحوها ، وهمس :

— إنك تستحقين مكافأة .

بسطت راحتها أمامه ، وهى تضحك ، قائلة :

— إننى أنتظرها بلهفة .

اتسعت ابتسامته ، كذئب صارت فريسته على قيد خطوة واحدة منه ، وهو يغمز قائلا :

— ليس هنا .. إننى أفكر فى أن نحتفل وحدنا ، أنا وأنت ، بحصولك على الجائزة .

كان معنى عبارته واضحاً ، وكنت أتوقَّع أن تتجهَّم (عزة)، وتخاطبه فى حِدَّة ، أو تشيح بوجهها عنه فى غضب ، إلا أننى فوجئت بها تحتفظ بابتسامتها ، وهى تقول فى هدوء :

— أين ؟

تألقت عينا الذئب ، وهو يهتف فى لهفة ، وقد تناسى وجودى تماماً :

— فى أى مكان يروق لك .. فى كازينو الطيور مثلا .

حافظت على ابتسامتها المرحة ، وهى تقول فى بساطة :

— مكان ظريف .. لقد رأيت شقيقتك فيه أول أمس ، مع شاب وسيم ، و ..

قاطعها فى حِدَّة :

— شقيقتى ؟! .. مستحيل ! إنها لا ترتاد مثل تلك الأماكن و ..



بتر عبارته بغتة ، وتصاعدت حمرة الخجل إلى وجنتيه ، عندما تنبه فجأة إلى ذلك الفخ ، الذى قادته إليه فى بساطة وذكاء ، فأطرق برأسه ، وبدا وكأن الكلمات قد احتبست فى حلقه ، على حين استطردت هى فى بساطة ، ودون أن تتلاشى ابتسامتها المرحة :

— دعنا نتحاشى هذا المكان إذن ، ما دام يثير الشبهات إلى هذا الحد .. قل لى : أليس من الأفضل أن أتسلم جائزتى هنا ، أمام الجميع ؟ .. إننى لن أخجل من تسلمها ، وأنا أستحقها بالفعل .. أليس كذلك ؟

غمغم دون أن يرفع عينيه إليها :

— بلى ..

وارتبك على نحو واضح ، وهو يبتعد بخطوات سريعة ، فالتفتّ أنا إليها وهتفت فى حماسة وإعجاب :

— لقد كنت رائعة يا ( عزة ) .. إنه يستحق ذلك بالفعل .

تنهَّدت وأجابتنى فى هدوء أدهشنى :

— إنه لم يخطئ يا ( سوسن ) .

هتفت فى استنكار :

– كيف ؟ .. ألم يطلب منك بكل وقاحة أن .. ؟

قاطعتنى فى هدوء :

– إنه لم يكن وقحاً .. ولا ينبغى أن ننسى أبداً أن التجاذب بين الإناث والذكور أمر طبيعى .

هتفت فى حِدَّة :

– ولكنه أراد أن يلتقى بك وحدكما .

اتسعت ابتسامتها ، وهى تقول :

– كان عليه أن يحاول .. هذا من حقه ، كما أنه من حقى أن أرفض مطلبه .

ثم مالت نحوى ، واستطردت فى مرح :

– ولا تنسى أنه لو كان يروق لى ، لوافقت بعد بعض التمنع .. أليس هذا ما نفعله دوماً ؟

وأطلقت ضحكة مرحة صافية ، جعلتنى – على الرغم منى – أبتسم ..

هكذا كانت ( عزة ) ..

مرحة ، بسيطة ، واثقة ..



إننى أتعجب كلما رأيت ما آل إليه حالها الآن ..

وكل هذا بسبب حبها لذلك الشاب .. ( معتز ) ..

يا لها من ذكريات ! ! ..

ويا لها من قصة ! ! ..

دعونا نسترجع معاً كل هذه الأحداث ..

دعونا نعود إلى البداية ..

إلى بداية قصة ( معتز ) و ( عزة ) ..

* * *



## ٢ ـ أحبــه ..

لم ألحظ ـ فى الواقع ـ وجود ( معتز ) فى حيـاة ( عزة ) ، إلا بعـد فـترة طويلة ، من دخوله إليهـا بالفعل ..

ربما ؛ لأنها كانت تعامله ـ كما تعامل الجميع ـ بنفس المرح والبساطة ..

أو لأنه كان من الطبيعى أن تنشأ بينهما علاقة ما ، من الناحيـة العمليـة ، فقد كان هو أمين اللجنة الفنية باتحاد طلاب الكلية ، وكانت هى من أكثر الفتيات نشاطاً فى هذا المجال ..

المهم أننى لم أنتبه إلى اهتمامها به فى البداية ..

و ( معتز ) هذا طـويل القامة ، مجعَّـد الشعـر ، هادئ الملامح ، تختفى عيناه دوماً خلف منظـار طـبى طريف ..

ولقد كان هذا يتناقض مع ( عزة ) ، فهى أميل إلى القصر ، ناعمة الشعر ، مرحة دوماً ، تمتلك أجمـل



عينين رأيتهما فى حياتى ، وأكثرهما سواداً ، وأرق شفتين وسط كل فتيات الكلية ..

ولقد كان كل ما يثير اهتمامى ، بالنسبة لـ (معتز)، هو اسمه ، فـ ( معتز ) هذا هو الاسم الذى نخاطبه به ، والذى يحمله على شفاه الجميع ، أما الاسم المدوَّن فى بطاقته الشخصية ، وفى سجلات الكلية ، فهو ( المعز ) ..

ولقد كان هذا الاسم يثير دهشتى فى الواقع ، لأنه أولا : اسم من أسماء الله (سبحانه وتعالى) الحسنى ، التى لا يصح أبداً أن يحملهـا مخلوق ، وثانياً : لأنه يذكرنى بـ (المعز لدين الله الفاطمى) ، رابع الخلفاء الفاطميين ، الذى آل إليه حكم شمال (أفريقيا) ، ووصلت فتوحاته إلى ساحل المحيط الأطلنطى ، والذى أرســل قائده ( جوهر الصقلى ) ، على رأس جيش ضخم ؛ لفتـح (مصر) ، فدخلها ، وخط مدينة ( القاهرة ) ، وشيَّـد الجـامع الأزهر ، وجعل ( القـاهرة ) مقرًّا للخـلافة الفاطمية ..

هذا ما أخبرتنا به كتب التاريخ ..

وهذا كل ما كان يثير انتباهى بالنسبة لـ (معتز) ..
ثم بدأت أنتبه إلى ما لم أنتبه إليه من قبل ..

انتبهت إلى ذلك البريق ، الذى يطل من عينى (عزة) ، ويضىء كيانها كله ، كلما أقدم (معتز) ، أو بدا من بعيد ، وإلى ذلك الشحوب الذى يعتريها ، والذى يتسلل إلى نبراتها وصورتها ، كلما وقفت تتحدث إليه ..

لاحظت أنه معه وحده ، لم تكن (عزة) تمرح وتضحك كعادتها ..

ولم تكن أيضاً تحزن ..

كانت - بكل بساطة - تستكين ..

ولقد تساءلت - فى دهشة - كيف لم ألحظ ذلك منذ البداية ؟ ..

لقد لاحظته ذات يوم ، كنت أساعد فيه (عزة) على إتمام بعض اللمسات الأخيرة ، فى معرض سيتم افتتاحه فى اليوم التالى ، وكانت تبدو شديدة المرح ، وهى تضيف شريطاً ملوّناً هنا ، أو زهرة صناعية هناك ،



حتى تراجعت ، وابتسمت فى سعادة واعتزاز ، وهى تتأمل عملها ، قبل أن تهتف فى حماس :

- ما رأيك ؟

أجبتها فى إعجاب :

- رائع .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغمغم :

- أتظنين أنه سيروق لـ (معتز) ؟

لم يدهشنى سؤالها ، بقدر ما أدهشتنى تلك اللهجة التى ألقته بها ..

لقد كانت الحروف تخرج من بين شفتيها كلحن حب ، امتزج بلمسة حياء ، مع قليل من اللهفة ، وكثير من الشوق ..

كانت تلقى السؤال ، وكأنه قصيدة غزَل وشعر ..

ولقد حدّقت فى وجهها فى دهشة خالصة ، لم تستغرق أكثر من لحظة ، ارتفع بعدها صوت هادئ يقول :

- بالتأكيد .

رأيت لحظتها جسد ( عزة ) يرتجف كله ..

يرتجف من قمة رأسها ، حتى أخمص قدميها ..

ولحظتها أدركت الحقيقة ..

أدركتها قبل حتى أن تلتفت إلى ( معتز ) ، بكل ذلك الشوق واللهفة ..

أدركتها قبل أن يُطلّ من عينيها ذلك البريق الوله .

أدركت أنها عاشقة ..

أدركت أنها تعشق ذلك الشاب النحيل ، الهادئ ، ذا المنظار ..

تعشق ( معتز ) ..

لحظتها حدقت فى وجه ( معتز ) فى دهشة ، وكأنما أبحث فيه عن السر ، فى كل ذلك الحب ، الذى تحمله له ( عزة ) ، وتضاعفت دهشتى ، حينما بدا لى ، كلما أمعنت فى تفحصه ، شابًا عاديًا للغاية ، لا يشبه تلك الصورة التى تصورتها دوماً ، للشاب الذى تقع ( عزة ) فى حبه ، بكل جمالها وحيويتها ، وقوة شخصيتها ..



ومما زاد من عجبى ودهشتى ، أنه لم يكن يشعر بحبها له ..

كان من الواضح أنه يتعامل معها كزميلة فحسب ..

زميلة يكنّ لها كل احترام وتقدير ..

لقد نطق كلمته السابقة فى هدوء شديد ، وهو يقف بباب المعرض ، فتهلّلت أسارير ( عزة ) ، واصطبغ وجهها بحمرة الخجل ، وأطل حياؤها واضحاً فى ابتسامتها المتلهّفة ، وهى تغمغم فى خفوت :

— هل .. هل أعجبك الديكور ؟

بدت لى — فى تلك اللحظة — وكأنها قد صنعت كل ذلك من أجله ..

من أجله وحده ..

ولكنه لم يشعر بذلك ..

لقد أجابها فى هدوء شديد ، ورصانة أصابتنى أنا شخصيًا بالإحباط :

— إنه جيّد .

لو أن شخصاً غيره اكتفى بذلك التعليق المقتضب

المتواضع ، على أى عمل من أعمالها لتقافزت وتصايحت ، واتهمته بالجهل والرجعية والتخلف ، محاولة توضيح أن عملها هذا ينافس ، إن لم يفق ، أعظم أعمال (فان جوخ) و (سيزان) و (بيكاسُّو) ، فى أسلوب مرح أنيق ، لا ينتزع ممن أمامها سوى الضحك والإعجاب ، أما أمام (معتز) ، فقد تهللت أساريرها ، وأشرق وجهها ، وتخضب بحمرة رائعة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة متألقة ، تجمعُ كل فرح وسعادة الدنيا كلها ..

ثم اكتفى (معتز) بهذا الجواب ، وألقى نظرة سريعة رصينة على المعرض والمعروضات ، ثم ابتسم فى رصانة ، وغادر المكان ، دون أن يلقى عليها هى نظرة إضافية ، مغمغماً :

— من حسن الحظ أن الديكور قد انتهى مبكراً ، فالمعرض سيبدأ صباح الغد .

كانت تتابعه ببصرها فى وَلهٍ عجيب ، وهى تومئ برأسها فى طاعة ، كما لو كانت جارية يسعدها تلبية



أوامر سيدها ، مما أثار حنَقى ، فهتفت بها فى لهجة تحمل كل الاستنكار :

— (عزة) ؟!

التفتت إلىَّ ، وهى تحمل نفس الابتسامة على شفتيها ، وغمغمت فى شرود :

— ماذا هناك يا (سوسن) ؟

حدَّقت فى وجهها ، الذى يحمل اعترافاً صريحاً بالحب ، بكل الدهشة ، قبل أن أغمغم :

— (عزة) .. هل تحبينه ؟

أسبلت جفنيها فى هيام ، وهى تهتف فى حماس :

— بالطبع .

كنت أتوقَّع منها بعض المراوغة والتحايل ؛ لذا فقد أذهلنى جوابها الصريح المباشر ، وجعلنى أحدِّق فى وجهها ، على نحو جعلنى أبدو كالبلهاء ، فهتفت فى سخط :

— لماذا ؟

هزَّت كتفيها ، وضحكت فى حياء وهى تقول :

- أهناك سبب للحب ؟

هتفت بها :

- بالتأكيــد .

ضحكت ، وهى تقول :

- لن يكون حبًّا فى هذه الحالة ، بل عقد مشاركة مضمون .

تمتمت فى إشفاق :

- ولكنه لا يشعر بك .

فوجئت بها تسألنى فى شغف :

- وكيف أجعله يفعل ؟

استنكرت سؤالها فى شدة ، فهتفت :

- ( عزة ) ؟! .. ماذا دهاك ؟

هتفت فى سعادة :

- أحببت .. أحببت يا ( سوسن ) .

كان من الواضح أنها غارقة فى الحب حتى أذنيها ، وأنه ما من قوة فى الأرض يمكنها أن تنتزع ( معتز ) من قلبها ، على الرغم من أننى لست أدرى متى بدأ ذلك



الحب ، ولا كيف نما إلى هذا الحد ؛ لذا فقد قرَّرت تجاهل كل ذلك والوقوف إلى جوارها ، كما يقتضى واجبى ، وأجبتها فى خفوت :

- حذار أن تضيعى شبابك ، فى حب من طرف واحد يا ( عزة ) .

غمغمت فى خجل :

- وكيف لا أجعله كذلك ؟

تنهَّدت ، وأنا أقول :

- بالأسلوب التقليدى طبعاً .. عليك أن تحاولى جذب انتباهه ، وتشجيعه على الإقدام و ..

قاطعتنى ضاحكة :

- والانتظار حتى يفهم ، ويتقدَّم ، ويطلب يدى .. كلاَّ يا صديقتى العزيزة .. هذا الأسلوب يصلح للقرن التاسع عشر ، وليس لجيلنا .

قلت فى توتر :

- إنه الأسلوب الصالح لكل العصور والأجيال ، فى مجتمعاتنا الشرقية يا ( عزة ) ، فالرجل الشرقى يهوى

دائماً لعب دور الصيّاد ، الذى يسعى خلف فريسته ، ويقتنصها بكل مهاراته وذكائه .

– إنها لعبة خداعية ، فالمرأة فى الواقع هى دائماً الصيّاد ، الذى يتخفّى فى ثوب الفريسة ، وهى التى تتصيّد الزوج المناسب ، وتنصب له الفخاخ ، على هيئة الاستكانة والاستسلام والخنوع .

– الجميع يهوون هذه اللعبة ، فهى تضع كل طرف فى الصورة التى يحبها لنفسه ، فالرجل يكره أن يكون الفريسة ، حتى وإن كان الواقع هو أنه كذلك ، ويكره أيضاً أن تكون المرأة هى الصيّاد ، حتى لا ينتقص هذا من إحساسه برجولته وذاتيته .

– وما الذى يسىء إلى رجولة الرجل ، حينما تختاره المرأة ، بدلا من أن يختارها هو ؟

– إنها تفقده زمام المبادرة ، والرجل يحب دوماً أن يكون البادئ .

– ولكن اختيار المرأة له فخر لرجولته ، فهو يعنى أنها قد انجذبت إلى تلك الرجولة .



– ليس هكذا يفكّر رجال الشرق يا ( عزة ) ..

– كيف يفكرون إذن ؟

– إنهم يرون أن المرأة التى تسعى خلف الرجل هى امرأة منحلّة خلقيًّا ، وأن الرجل الذى يقبل ذلك الأسلوب تنقصه الرجولة .

– إنهم على خطإ بالتأكيد ، فالسيدة ( خديجة ) ( رضى الله عنها ) هى التى سعت للزواج من الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) ، ولقد قبل ( صلوات الله عليه وسلامه ) الزواج منها ، ولم ينتقص هذا من رجولته ( عليه الصلاة والسلام ) ، ولم يضعها ( رضى الله عنها ) فى مصاف أقل من الشريفات .

أدهشنى منطقها العقلانى ، الذى لا يقبل الجدل ، إلا أننى غمغمت :

– ليس هكذا ينظر مجتمعنا إلى الأمور .

أجابتنى فى هدوء وبساطة :

– المجتمع مخطئ إذن .

انعقد حاجباى ، وأنا أقترب منها ، وأسألها فى قلق وحذر :

– ( عزة ) .. فيم تفكرين ؟

ابتسمت ، وتألّقت عيناها، وهى تقول فى شوق وجذل :

– فى وسيلة إبلاغ ( معتز ) بحبى له .

هتفت فى ذعر :

– ( عزة ) ؟! .. لست أظنك تفكرين فى .. !

قاطعتنى فى مرح أرعبنى :

– بالتأكيد يا ( سوسن ) .. هـذا هو الأسلوب الوحيد .

وضحكت قبل أن تردف :

– سأطلب يد ( معتز ) .

* * *



## ٣ ـ الغاية والوسيلة ..

مهمة عسـيرة ، تلك التى ألقتهـا ( عـزة ) عـلى كاهلى ..

لقد كانت تصرّ على أن تفاتح ( معتز ) بحبهـا لـه بنفسها ، على الرغم من توسّلى إليها ألاّ تقدم على ذلك، حتى لانت ووافقت على ألاّ تفعل ، ولكن بشرط واحد ..

أن أفعل أنا ..

أن أخبره بحبها له ..

لست أدرى أين تتصوَّر ( عزة ) نفسها ..

لاريب أنها قد نسيت أنها فتاة مصرية شرقية ، وليست أوربية أو أمريكية ..

لقد تصوَّرت يومها أنها قد أُصيبت بنوع مخيف من الجنون ..

جنون الحب ..

ولقد وافقتها على أن أحمل هذه المهمة العسيرة على

كاهلى ؛ لأننى أُحبها ، وأخشى أن يصدمها ( معتز ) ، بارتباطه بفتاة أخرى مثلا ، أو برفضه لشخصيتها ..

ويومها قضيت ليلتى كلها ساهرة ..

لم يغمض لى جفن ، حتى الصباح ..

كان عقلى يموج بعشرات الأفكار والصراعات ، وذهنى يحاول معرفة أيّنا على حق ، أنا أم هى ؟! ..

أمن الطبيعى أن تسعى فتاة خلف شاب ؟ ..

أمن المنطق أن يحبها ويحترمها ، بعد أن سعت هى إليـه ؟ ..

كان المنطق والعقل يجيبان على كل تلك الأسئلة بالإيجاب ، ثم يأتى المجتمع فيجيب عنها بالنفى ، وبكل شدة واستنكار واستهجان ..

وحتى تلك اللحظة ، التى ذهبت فيها إلى الكلية ، لحضور الحفل ، لم أكن قد حسمت أمرى بعـد ، فيما إذا كنت سأقوم بالمهمة أم لا ..

ثم رأيتها ..

كان عميد الكلية يقص شريط افتتاح المعرض ،



وإلى جواره ( معتز ) ، على حين كانت هى تقف على قيـد خطوات منهما ، وقد بدت وكأنما نسيت الدنيـا كلها ، ولم تعد تشعر بأى مما حولها ، سواه و ..

كانت عيناها تتألقان فى سعادة واضحة ، وفرح شديد ، وهى تملؤهما بوجه (معتز) وابتسامته الرصينة ..

وداخل المعرض ، الذى صنعت هى كل ركن فيه ، اكتفت بالوقوف فى الركن ، والتطلع إلى (معتز) ، وهو يصف المعروضات للحاضرين ، فى انبهار وسعادة ..

لحظتها أدركت أننى لا أستطيع رفض المهمة ..

لا أستطيع رفضها من أجلها ..

وانتظرت ..

انتظرت حتى نهاية المعرض ، ثم اقتربت منها ، ورأيتهـا تتطلّـع إلىّ فى ضراعة وأمـل ، فابتسمت فى شحوب ، واكتفيت بضغط كفها فى راحتى ، ثم تركتها دون أن نتبادل حرفاً واحداً ، واتجهت نحـو ( معتز ) ، وشعرت بقلبى يخفق فى توتر ورهبة ، وكأننى أتجه إلى منصة الإعدام ، ولا ريب أن وجهى

كان شديد الشحوب ، وأنا أقف أمامه ، وأغمغم فى صوت متحشرج :

– مُبارك .

ابتسم برصانته المعهودة ، وهو يقول :

– شكراً .

ثم التفت إلى ( عزة ) ، مستطرداً :

– الفضل ، كل الفضل ، يعود إلى ( عزة ) ، فهى صاحبة المعرض الحقيقية .

أشرق وجه ( عزة ) فى سعادة بالغة ، وأطرقت بوجهها فى حياء شديد ، وخيّل إلىّ لحظتها أن مهمتى لن تكون بالصعوبة التى أتصوّرها ، فقد لمحت فى عينيه ومضة حنان دافقة ..

لحظتها اختلج قلبى بين ضلوعى فى شدة ..

إنه أيضاً يحبها ..

يا للمهزلة !! ..

كلاهما يحب الآخر ، وكلاهما لا يجرؤ على البوح بحبه للآخر !! ..



لحظتها فقط تنهدت فى ارتياح ، وأشرت إلى ( عزة ) بإشارة خفية متفق عليها ، فأسرعت تغادر المكان فى ارتباك واضح ، وبوجه شديد التخضب ، حتى أننى تساءلت كيف كانت ستبوح له بحبها بنفسها ؟

وكم أسعدنى أن تابع ( معتز ) انصرافها ببصره ، وعيناه تحملان نفس الاهتمام والحنان ، مما شجعنى على أن أغمغم :

– إنها فتاة رائعة .. أليس كذلك ؟

غمغم فى شرود :

– بالتأكيد .

ثم أدار عينيه إلىّ ، وابتسم ابتسامته التقليدية الرصينة ، وهو يستطرد :

– كان ينبغى أن تلتحق بكلية الفنون الجميلة ، فهى حقّاً موهوبة .

قلت فى اهتمام :

– أتعلم أنها تتمنى العمل فى صحيفة فنية ؟

حافظ على ابتسامته الرصينة ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. أعلم ذلك .

قلت ، وقد بدأ التوتر يسرى فى نبراتى :

ـ وأنها أديبة موهوبة أيضاً .

أومأ برأسه موافقاً ، وهو يتمتم :

ـ أعــلم ذلك .

استجمعت شجاعتى ، وقاومت عنف نبضات قلبى ، وأنا أقول :

ـ وأنها تحبك .

خيّل إلىّ أن ابتسامته قد تجمدت على شفتيه لحظات ، وأن وجهه قد شحب بغتة ، وأن عضلاته قد ارتجفت لحظة ، وتوقّعت أن أسمع منه أى جواب فى العالم ، إلا ذلك الجواب المقتضب ، الذى ألقاه بصوت خافت حزين ، متمتماً :

ـ أعــلم ذلك .

حدّقت فى وجهه بذهول ، وأنا أردّد :

ـ تعــلم ذلك ؟!

أطرق بوجهه فى حزن ، وهو يضيف فى خفوت شديد :



ـ للأسف .

وجدت نفسى أهتف بمزيد من الذهول :

ـ للأسف ؟! .. ولماذا للأسف ؟! .. إنك تحبها أيضاً .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجاباً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتراجعت وأنا أغمغم فى حيرة شديدة :

ـ ما المشكلة إذن ؟

أشار إلى رأسه ، وهو يجيب فى مرارة :

ـ هــذا .

لم أفهم ما الذى يعنيه ، فغمغمت فى دهشة :

ـ هــذا ؟! ..

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال فى خفوت :

ـ أقصد عقلى .

بدت لى إجابته مبهمة ، غامضة ، فتمتمت فى خفوت يحمل الكثير من الهلع :

ـ وما شأن عقلك بالأمر ؟

أطلّ من عينيه حزن هائل ، وهو يرفعهما إليّ ، قائلا فى مرارة :

– إنه يقاوم ذلك الحب فى يأس واستماتة .

كانت دهشتى لكلماته كبيرة ، حتى أننى قد نسيت كل قواعد الخوف والقلق واللياقة والخجل ، وأنا أسأله :

– لماذا ؟ ..

تناسى بدوره كل القواعد السالف ذكرها ، وهو يجيب فى مرارة :

– صدقينى يا ( سوسن ) .. إننى غارق فى حب (عزة) ، حتى قمة رأسى .. إننى أتنفّس حبها ، وأنبض به ، ولكن عقلى يصرّ على أنه من المستحيل أن نتفق ، فأنا أميل إلى الرصانة بطبعى ، على حين تعلمين ويعلم الجميع أن ( عزة ) شديدة المرح ، تتبسط مع الجميع ، على نحو لا يتفق مع تقاليدنا الشرقية .

تمتمت فى شرود :

– ولكنها لم ترتكب فى حياتها أية أخطاء أخلاقية :



أشاح بوجهه ، مغمغماً :

– من وجهة نظرك .

أغضبتنى عبارته ، فصحت محنقة :

– وفى وجهة نظر الجميع .. إننى أتحدّى أى مخلوق يسىء إلى سمعتها أو ..

قاطعنى فى حدّة :

– ليس هذا ما أقصده .

سألته فى غضب :

– ما الذى تعنيه إذن ، بأنها لم ترتكب أية أخطاء أخلاقية ، من وجهة نظرى فقط ؟

زفر فى عمق ، وشرد ببصره فى سقف المكان لحظات ، ثم أجاب :

– اسمعينى يا ( سوسن ) ، وحاولى أن تفهمى وجهة نظرى ، وأن تستوعبيها .. صحيح أن معايير الأخلاقيات ثابتة ، محدودة فى كل الأديان ، إلا أنها تختلف كثيراً ، من مجتمع إلى آخر ، فالمرأة تعد منحلة ، فى أقاصى الصعيد مثلا ، لو أنها كشفت عن

وجهها ، أو شعرها ، على حين نعتبر نحن ذلك أمراً عاديًّا هنا ، فى الوقت الذى ننظر فيه إلى المرأة المدخِّنة أو التى ترتدى ثوب بحر ، على أنها منحرفة ، وينظر إليها غيرنا ، على أنها سيدة عاديَّة ، تمارس حريتها الشخصية ، ويتدرَّج الأمر حتى يصل إلى أن المرأة العارية لا تخالف أية قواعد أخلاقية ، على شواطئ العراة فى ( أوربا ) و ( أمريكا ) .

هالنى المعنى ، الذى تصورته يسعى إليه ، فغمغمت فى صوت متحشرج :

– لم أفهم بعد ما الذى تقصده ؟.

عاد يشيح بوجهه ، وازدرد لعابه على نحو جعلنى أرتجف ، قبل أن يجيب فى مرارة :

– سأختصر الأمر تماماً .. وبكل صراحة .. إن أسلوب حياتى يتعارض تماماً مع أسلوب ( عزة ) .

غمغمت فى شحوب :

– ولكنك تحبها .

هتف فى ألم :



– ليس هذا هو المهم ، فالحب وحده لا يكفى لحياة زوجية ناجحة .. لابد من التفاهم والتقارب أيضاً ، وأنا و ( عزة ) متعارضان .. أتفهمين ؟

أتفهمين يا ( سوسن ) ؟

جاهدت لحظات ؛ لأجيب بصوت مختنق :

– نعم .. أفهم يا ( معتز ) .

وازدردت لعابى فى صعوبة ، فى محاولة لترطيب حلقى الجاف ، قبل أن أضيف فى توتُّر :

– المهم هو كيف تفهم ( عزة ) ؟ .. كيف ؟

* * *



# ٤ ـ لا تراجع ولا استسلام ..

لم أدرك كم كانت مهمة مصارحة (معتز) هيِّنة ، إلا عندما حانت لحظة مصارحة ( عزة ) ..

لقد غادرت المعرض ، لأجدها تنتظرني أمامه في لهفة واضحة ، والشوق يطل من كل خلجة من خلجاتها ، ولم تكد تراني حتى هرعت إليَّ ، وجذبتني من معصمي إلى خميلة هادئة ، ثم التفتت إليَّ ، وسمعت خفقات قلبها تختلط بلهفة صوتها ، وهي تسألني :

ـ ما حدث ؟

بذلت جهداً رهيباً ، لأجيب بصوت متحشرج ، ملؤه الانفعال :

ـ كل خير .

سألتني في لهفة :

ـ هل أخبرته ؟

لم أستطع لحظتها سوى أن أومئ برأسي إيجاباً ، فأطلَّ من عينيها رجاء أدمَى قلبي ، وهي تقول :



ـ وماذا قال ؟

فكَّرت في البداية أن أعود فأنكر أنني قد تحدثت إليه ، وندمت أشد الندم لأنني أجبتها بالإيجاب ، ثم لم ألبث أن شعرت بضرورة مصارحتها بالحقيقة كلها ، مهما كان ذلك قاسياً ..

فالحقيقة هي دائماً الدواء الشافي لكل عِلَّة ..

إنها كالدواء المر ، الذي ينبغي تناوله ، لتلتئم الجراح وتشفى ..

المبضع الذي يبتر من قلوبنا الأحلام الزائفة ، ويضع الحقائق الواقعية ..

ولقد فعلت ..

استجمعت شجاعتي ، وألقيت على مسامعها كل ما حدث ..

بكل الحقائق ..

بكل التفاصيل ..

وياليتني ما فعلت ..

لقد رأيت وجهها يشحب في شدة ، حتى لقد

بات أشد شحوباً فى وجوه الموتى ، ورأيت عينيها تترقرقان بدموع أشبه بدماء قلب ذبيح ، وهى تستمع إلىَّ فى صمت تام ..

ولكننى لم أتوقف ..

واصلت رحلة الحقيقة، حتى أخبرتها بكل شىء ..

وبعدها خيَّم علينا صمت كالقبور ..

صمت طويل ثقيل رهيب، بدت خلاله شاحبة ، جامدة ، باهتة ، ولم أجرؤ أنا خلاله على النطق بحرف واحد ، إلى أن نهضت ( عزة ) فى بطء ، فسألتها فى قلق ، وبصوت غادر شفتى فى تعثُّر :

– ماذا ستفعلين ؟

أجابتنى فى صوت يحمل صرامة شديدة :

– سأذهب إليـه .

اتسعت عيناى فى ذهول وصحت فى وجهها فى استنكار :

– تذهبين إليـه ؟

وقفزت من مقعـدى أعترض طريقهـا ، وأنا أستطرد فى غضب :



– هل جننت ؟ .. كيف تذهبين إليه ، بعد أن رفضك صراحة ؟

أجابتنى فى حزم ، وقد استردَّت بشرتها بعض تورُّدها :

– إنه لم يرفضنى .. لقد قال فقط إننا لن نتفق .

صحت بها :

– لا فارق .. هذا أيضاً نوع من الرفض .

هزَّت رأسها نفياً فى عناد ، وهى تقول :

– بل هو استعداد للتفاوض .

صحت فى غضب :

– أى تفاوض ؟

أجابتنى فى حزم أدهشنى :

– إذا كانت ( روسيا ) و ( أمريكا ) قد نجحتا فى توقيع معاهدة وفاق ، أتظنين أننا سنعجز عن ذلك أنا و ( معتز ) .

– ما تفعلينه هـو صك استسلام ، دون قيد أو شرط ، وليس معاهدة وفاق .

— لا يوجد استسلام فى الحب يا صديقتى العزيزة ، الاستسلام أسلوب يعقب الحروب فحسب ، وأنا و ( معتز ) لم نتحارب قط .

— وأين كرامتك ؟

— وما الذى يسىء إلى كرامتى ، عندما أهادن من أحب .

— ولِمَ لا يهادنك هو ؟

— كل يمنح بقدر ما يحب ، ويبدو أننى أحبه أكثر .

— سيفقدك هذا كل نقاط تفوّقك عليه .

— ومن قال إننى أحب أن أتفوّق عليه ؟

— طموحك ..

— عجباً !!.. أتتصوّرين أن الطموح هو النجاح فى العمل فحسب .

— هذا أمر منطقى .

— أخالفك ، فهناك عشرات الوجوه للطموح والنجاح .



لم أستسغ موقفها ، ولم يرق لى أسلوبها أبداً ، فأمسكت معصمها فى قوة ، وأنا أقول فى حزم :

— لن أسمح لك بالذهاب إليه .. إنك ستفقدين كل قيمتك لديه لو فعلت .

واجهتنى بابتسامة واثقة ، وهى تقول :

— لو أنه يفكر بهذا الأسلوب ، فلن أخسر كثيراً بفقده .

ثم أزاحت يدى عن معصمها فى هدوء ، واتجهت نحو المعرض ، وغابت داخله ، وتركتنى نهبة لعشرات المشاعر ..

لم أوافق على موقفها هذا أبداً ..

رفضت تلك المرأة الشرقية ، الرابضة فى أعماق ، أن تعترف فتاة لشاب بحبها ..

رفضت قلب قواعد لعبة الصيد .

لقد كنت أومن تماماً بأنه من الضرورى أن تدار اللعبة دائماً بنفس القواعد ..

الرجل الصيّاد ، والمرأة الفريسة ..

هذا هو الأسلوب التقليدى المستساغ ..

ولما كنت أجهل الكثير عن شخصية ( معتز ) ، فقد رحت أبحث عن استنتاج منطقى لرد فعله ، عندما تذهب إليه ( عزة ) ..

هل سيتقبّل الأمر بعقل متفتح ، ويعترف بحبه لها ، أم يكابر ويعاند ، كأى رجل شرقى ، يأبى لعب دور الفريسة ؟ ..

أيتمتع بعقل شرقى فسيح يا تُرى ؟ ..

حاولت أن أستعيد تفاصيل حديثنا معاً ..

كل جملة ..

كل كلمة ..

كل حرف ..

والعجيب أننى وجدت صعوبة بالغة فى ذلك ، على الرغم من أنه لم تمض لحظات على حديثنا بعد .

كنت أحاول فقط أن أستنتج — من الحديث — طبيعة شخصيته ، واحتمالات ردود أفعاله ..



ثم تهاوى كل ذلك فجأة ، عندما رأيت ( عزة ) و ( معتز ) يغادران المعرض ..

وجهاهما حسما الأمر ..

ملامحهما أنهت البحث ..

لم يعد هناك داع للاستمرار ..

لقد انتصرت ( عزة ) ..

* * *



## ٥ ـ الفجــوة ..

لست أظننى بحاجة إلى أن أشير ، إلى أن ارتبـاط ( عزة ) و ( معتز ) كان مبعثاً لدهشـة مجتمـع الكليـة كله ، فالتناقض بين شخصيتهما كان شديد الوضوح ، إلى حد جعلهما أشبه بالنار والثلج ..

ولقد كانت ( عزة ) بالطبع هى النار ..

كان من العسير أن يصدِّق مخلوق واحد ، فى مجتمع الكلية كله ، أن ( عزة ) و ( معتز ) يمكنهما أن يتقاربا ، وأن يرتبطا برباط حب ..

ولكنهما فعلا ..

إن (عزة) لم تخبرنى أبداً بما دار بينها وبين (معتز) ، عنـدما ذهبت إليـه فى المعرض ، وأنا من جانبى لم أحاول أن أسألها ، إلا أننى واثقة من أنهما قـد وقّـعا هناك وثيقة حبهما ، وأنهما قد توصَّلا ـ بوسيلة ما ـ إلى أسلوب لسد الفجوة الضخمة بين شخصيتهما ..

ويبدو أن هذا الأسلوب كان يتحرك من ناحيـة



( عزة ) وحدها ، فلقد ظل ( معتز ) كما هو ، رصيناً متَّزناً ، أما هى ، فقد حافظت على مرحها ، وإن أحاطته بإطار رصين بعض الشىء ..

وينبغى هنـا أن أشير إلى أننى لم أقتنع بأسـلوب ( عزة ) هذا أبداً ، فحتى او وقعت فى حب أعظم رجل فى العالم ، فأنا أفضِّل أن أفقده ، عن أن أسعى أنا إليه ، وأعترف له بحبى ، قبل أن يفعل هو ..

لقــد قلت فى البــداية أننى أتفق مع ( عزة ) فى الكثير من المشارب والأهواء ..

وهــذا صحيح ..

إلا فيما يخص تلك النقطة بالذات ..

ولكن أيّا كانت وجهـة نظـرى ، فقـد ارتبط ( معتز ) و ( عزة ) ، وإن لم تختف تلك الفجوة بينهما أبداً ..

ما زلت أذكر ذلك اليوم ، عندما ذهبنا جميعاً فى رحلة إلى ( الإسكندرية ) ، والرحلات الجامعية دائمـاً عبـارة عن نشاطات يصـل فيهـا المرح إلى ذروتـه ،

وتذوب فيها الفوارق بين الجميع ، وتشيع روح الأسرة، فيشترك الأساتذة والطلاب فى أغان مرحة ، وألعاب طريفة .

حتى أكثر أساتذة الكلية رصانة ، كان يشاركنا مرحنا ..

إلا ( معتز ) ..

لقد ظل محتفظاً برصانته ، مكتفياً بابتسامة أنيقة ، هى أقصى ما يعبِّر به عن مرحه ، ومشاركته لنا ..

أما ( عزة ) ، فقد كانت تختلف ..

لقد اكتفت ، فى النصف ساعة الأولى ، بالجلوس الى جوار ( معتز ) فى الحافلة ، ومشاركته ذلك التصفيق الرصين ، والابتسام الوقور ..

ثم غلبتها طبيعتها، فقامت تشارك الجميع ضحكاتهم ومرحهم ، واندمجت معهم فى ألعابهم وغنائهم ..

يومها تساءلت : ماذا سيفعل ( معتز ) ، وكيف سيتقبّل ذلك ، فالتفتُّ إليه وارتجف قلبى قلقاً ، وأنا أتطلّع إلى ملامحه ..



كان وجهه جامداً ، صامتاً ، وهو يراقب ما تفعله (عزة) ، إلا أن عينيه كانتا تحملان بريق غضب عنيف ..

ولم يختف ذلك البريق ، أو يخفت ، حتى وصلنا إلى ( الإسكندرية ) ..

وهناك كشفت ( عزة ) موقفه ، عندما فوجئت به يتعامل معها فى برود شديد ، متعمداً تجاهلها ، وتوزيع ابتسامته على جميع فتيات الرحلة ، سواها ..

لقد أفسد عليها ( معتز ) الرحلة ..

بل أفسدها علىَّ أيضاً ..

لقد فقدت (عزة) كل مرحها ، وبدت مهمومة ، حزينة ، مكتئبة ، وهى تحاول أن تتقرَّب إليه مرة أخرى ، وكم شعرت أنا بالحنق والسخط ، وهو يصدّها فى جفاء شديد ، ويعاملها فى خشونة واضحة ، لم أكن أنا لأحتمل لحظة واحدة منها ..

وأخيراً تركته ( عزة ) ..

تركته وعادت إلىَّ ، وغمغمت فى صوت يحمل عبرات الدنيا كلها :

– ( سوسن ) .. هيَّا بنا نبتعد عن الجميع .
سألتها فى إشفاق :
– لمـــاذا ؟
اختنق صوتها ، وهى تقول :
– لأننى أريد أن أبكى .
لم أفه بحرف واحد ..
لم أعترض ..
لم أناقش ..
فقط أمسكت كفها فى عطف ، وابتعدت بها عن الجميع ..
وبكت ..
فى البداية كان بكاؤها صامتاً ..
فقط عبرات تسيل على وجنتيها ، فتلتمع مع ضوء الشمس ..
ثم بدأت تنتحب فى خفوت ، وتصاعد نحيبها ، حتى انهمرت دموعى معهـا ، دون أن تنبس إحـدانا بحرف واحد ..



وتركتها تبكى ، حتى أفرغت كل حزنها ومرارتها ، ونحن نجلس متجاورتين على سور الكورنيش ، ثم ربَّتُّ على كتفها فى حنان ، وأنا أغمغم :
– إنه لا يستحق ذلك .
كانت عبارة مجاملة تقليدية ، تقال فى مثل هـذه المواقف ، وتقابل عادة إما بالصمت ، أو بالموافقة ، ولكن ( عزة ) تمتمت فى حزن :
– بل هو يستحق .. أنا التى لا أستحق .
حدَّقت فى وجهها بدهشة ، قبل أن أهتف :
– ماذا دهاك يا (عزة) ؟..إنك تلغين شخصيتك إلى جواره تماماً .
أجابتنى فى مرارة :
– إنه ليس عدوًّا يا ( سوسن ) .
صحت فى حِـدَّة :
– لمـاذا يعاملك إذن كعدوَّة ؟
– إنه يعاقبنى .
– بأى حق ؟

ـ بحـق الحب .

ـ الحب ليس قيداً ، أو علاقة بين حاكم ومحكوم ، حتى يكون فيه من يعاقب الآخر .. الحب علاقة لا تحتاج إلى العقاب ، أو حتى الاعتذار .

ـ بل هو مسئولية يا (سوسن) ، والمسئولية تعنى الالتزام ، ولقد خالفت أنا ما التزمت به .

ـ هذا يمنحه حق العتاب ، لا العقاب .

ـ هذا يتوقف على شخصيته .

ـ وأين شخصيتك ؟

تجمَّدت ملامحها مع سؤالى الأخير ، وأطرقت بوجهها لحظة ، ثم أجهشت مرة أخرى بالبكاء ، وهى تغمغم :

ـ إننى أحبه .

ـ الحب ليس مرادفاً لإلغاء الشخصية ..

ـ ولكننى أخشى أن أغضبه .

ـ فليغضب ، ما دام لا يبالى بأحزانك .

ـ ماذا أفعل يا ( سوسن ) ؟



هتفت فى صرامة :

ـ اتخذى موقفاً .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ تجاهليه كما يتجاهلك .

ـ وماذا لو تركنى من أجل ذلك ؟

ـ لن يتركك .

ـ من أنبأك بذلك ؟ .. إن ( معتز ) شديد العناد .

ـ صدقينى ، إما أن تتخذى موقفاً حازماً فى هذا الشأن ، أو تفقد علاقتكما طبيعتها ، وتصبح أشبه بعلاقة سيِّد وجارية .

صمتت لحظات ، وبدا التوتُّر فى ملامحها ، وهى تفكر فى عمق ، قبل أن تغمغم :

ـ يبدو أنك على حق .

تنهَّدت فى ارتياح ، ولكن ارتياحى لم يدم سوى جزء من الثانية ، فلم تكد تنهيدتى تختتم ، حتى سمعت صوت ( معتز ) من خلفى ، يقول فى رصانة :

ـ ( عزة ) .

التفت إليه فى دهشة ، ورأيته يتطلع إلى (عزة) بوجهه الرصين الهادئ ، ويشير إليها أن تذهب إليه ، فالتفت إليها فى سرعة ، ورمقتها بنظرة تحذير من أن تطيعه أو تذهب إليه ، إلا أنها لم تر نظرتى مطلقاً ، فقد تهللت أساريرها ، وابتسمت فى فرح واضح ، وهبّت إليه ، ناسية أو متناسية كل ما قلناه وما ناقشناه منذ لحظات ، وأمسكت كفه فى وَلهٍ ، وهى تهمس :

— أنا آسفة .

لم يُجبْ عليها سوى بابتسامة باهتة ، جعلتها تتهلل فرحاً ، وتحتضن أصابعه ، التى تحتضن كفها ، ثم يبتعدان معاً ، وقد تجاهلانى تماماً ..

وتفجرت فى أعماقى ثورة عارمة ..

كنت أكره — وبشدة — أسلوبها فى التعامل معه ..

أسلوب الخضوع التام ، والاستسلام بلا قيد أو شرط ..

لقد كانت المسكينة مولعة به إلى حد الجنون ..



كانت تتنازل عن شخصيتها رويداً رويداً من أجله ..

وكنت واثقة من أن هذا لن يسد الفجوة بينهما أبداً ، بل على العكس ، سيزيدها اتساعاً واتساعاً ، حتى تبتلع حبهما بلا رحمة ..

ولكننى لم أستمر فى القلق عليهما طويلا ، إذ نشأت بينى وبين (عزة) فجوة جديدة ، صنعها اهتمامى بلعبة ظهرت فى حياتى ، فى تلك الأيام ..

لعبة الصياد والفريسة ..

لقد التقيت فى تلك الآونة بزوجى الحالى (فوزى) ..

وبدأت اللعبة ، ولكن بقواعدى أنا هذه المرة ..

* * *

## ٦ ـ القط والفار ..

من الطبيعي أن أي قارئ ، لن يجد فارقاً بين نهاية الفصل السابق ، وبداية هذا الفصل ، فكل ما سيفعله هو أن ينقل بصره من أسفل الصفحة الماضية ، إلى أعلى هذه الصفحة ، أو يقلب صفحة روايته ، ويواصل القراءة ، ولن يستغرق منه هذا سوى عُشر الثانية ، أو ثانية كاملة على الأكثر ، دون أن يخطر بباله لحظة ، أن الفارق بين آخر كلمات الفصل السابق ، وأول كلمات هذا الفصل ساعة كاملة ..

ساعة توقفت فيها عن الكتابة ، وأطفأت مصباح الحجرة ، وجلست في شرفة منزلي المطل على النيل ، أنعم بنسمات الصيف في الرابعة صباحاً ، وأدخن سيجارة ..

لقد أعادت لي نهايات الفصل السابق ذكرى أول لقاء لي بزوجي ( فوزي ) ..

ذكرى أول جولة في لعبة القط والفأر ، أو الصياد والفريسة ..



لعبـــة الزواج ..

ولقد اعتدت أن أجتر ذكرياتي في الشرفة ، ومع أنفاس سيجارتي ..

هل يبدو لكم أنه من العجيب أن أدخّن ؟ ..

هل تشاركون زوجي ، في رفضه لعادة التدخين التي أزاولها ؟ ..

كم أعجب لأمركم ؟! ..

إنكم تشبهون زوجي كثيراً ، في رجعيته وتخلّفه ، فهو مثلكم ، يدخّن كرجل ، ويفعل ذلك في الأماكن العامة ، وفي مكتبه ، وأمام ضيوفه ، وحتى أمام ضيفاتي ، إلا أنه يرفض في شدة أن أدخن أنا ، ويكره تماماً أن أفعل ذلك في أي مكان عام ، وحتى في إدارة المجلة ..

حجته في هذا هي أن مشهد المرأة ، التي تدخّن السيجارة ، يذكره بالنساء المنحرفات ..

ولقد أغضبني تفسيره هذا كثيراً ، فالتدخين ليس أكثر من مجرَّد عادة ، بغض النظر عن كونها

عادة حسنة أو سيئة ، وهو فى ذلك لا يختلف كثيراً عن تناول الشاى أو القهوة ، وهما مادتان ضارتان أيضاً ، لما تحويانه من مادة ( الكافيين ) ، المثيرة لخلايا المخ ، فلماذا إذن نسمح للمرأة بتناول قدح شاى أو فنجان من القهوة فى مكان عام ، ثم نرفض فى حزم أن نسمح لها بالتدخين ؟! ..

لقد حاولت أن أناقش زوجى فى هذا الأمر أكثر من مرة ، ولكنه فى كل مرة يرفض الاستماع إلى وجهة نظرى ، أو مناقشتها ، ويكتفى بالغضب والمخاصمة ، مما يزيدنى إصراراً وعناداً فى مسألة التدخين ، على الرغم من أننى قد فكرت أكثر من مرة فى الإقلاع عنه ، لولا خشيتى من أن يظن زوجى أننى قد فعلت ذلك خوفاً منه ، أو طاعة له ..

ثم إن رفضه مناقشة وجهة نظرى ، يجعله يبدو لى ديكتاتوراً ، وأنا أكره ديكتاتورية الحوار ، حينما يصر أحد الأطراف على فرض وجهة نظره دون مناقشة ..

ومما يضحكنى ، ويثير سخطى فى الوقت ذاته ،



أن زوجى قد اشتهر ، فى الأوساط الصحفية والأدبية ، بدفاعاته المستميتة عن ديمقراطية الحوار ومحاربة الديكتاتورية ، فى حين يناقض ذلك تماماً فى منزله ، دون أن ينتبه إلى أن المنزل هو مجتمع صغير ، ولو أنه ديكتاتور ، فى هذا المجتمع الصغير ، فسيتحوّل إلى ديكتاتور أعظم ، لو أمكنه يوماً أن يحكم مجتمعاً أكبر .

ولكنه ، كمثله ، ضحايا لوسائل الإعلام ، التى يصنعونها ..

أتدرون لماذا يصرّ زوجى على أن مشهد المرأة المدخنة يذكره بالنساء الساقطات ؟ .. لأنه هكذا وصفتهم له وسائل الإعلام ..

السينما جعلتهن مدخنات ، والروايات ، وحتى الصور ..

كلها ربطت التدخين عند المرأة بالسقوط ..

إنه نوع من الإيحاء الإعلامى الذى يخدع الجميع ، دون أن يدروا ..

معـــذرة ....

يبدو أن ذلك الحديث قد جذبنى ، حتى أنه قد أنسانى القصة الأصلية ..

قصة ( عزة ) و ( معتز ) ..

وقصتى مع زوجى ..

لقد ظهر ( فوزى ) فى حياتى فى نفس العام ، الذى ارتبط فيه ( معتز ) و ( عزة ) ..

كان محاضراً فى الكلية ، قوى الشخصية ، رائع الأسلوب ، قوى الحضور ، خفيف الظل ، مما جذبنى إليه فى شدة ، وجعلنى أقرر بدء اللعبة معه ..

ولكننى لم أفعل مثل ( عزة ) ..

لم أذهب إليه ، وأخبره صراحة أننى أميل إليه ، ولم أستعن بزميلة تخبره ، وإنما قررت أن أمارس معه نفس لعبة أمى وجدتى ..

لعبة القط والفأر ..

وبعد كل محاضرة يلقيها علينا ، كنت ألحق به خارج المدرجات ، وألقى عليه بضعة أسئلة بسيطة ،



وأبتسم على نحو مدروس ، وأخفض عينى فى حياء ، كلما تطلّع إلى وجهى مباشرة ..

فى البداية كان يستقبلنى ببساطة ، ويجيب عن أسئلتى فى هدوء ورصانة ، ثم لم يلبث أن أصبح يستقبلنى فى شوق ، ويمنحنى ابتسامة واسعة كلما التقينا ، ويتعمّد أن يطيل فترة وقوفنا معاً ..

ثم بدأ هو يلعب دور الصياد ..

بدأ يجيب عن أسئلتى على نحو غامض ، ويترك جزءاً منها بلا إجابة ، ويطالبنى بقراءة مرجع معين ، لا يوجد سوى فى مكتبته الخاصة ..

وبعدها كشف أوراقه ..

كان ذلك قبل نهاية العام بأسابيع قليلة ، عندما استقبلنى بابتسامة واسعة ، وأجاب عن أسئلتى فى مرح غير معتاد ، ثم لبث بضع لحظات صامتاً ، يتطلّع إلى وجهى ، قبل أن يسألنى فى خفوت :

ـ أأنت مرتبطة يا آنسة ( سوسن ) ؟

ارتجف قلبى لسؤاله ، وأدركت أننى قد بلغت

الهدف ، فتظاهرت بعدم الفهم ، وأنا أغمغم فى حياء :

- ماذا تعنى يا دكتور ( فوزى ) ؟

ارتبك ، وهو يغمغم :

- أعنى أأنت مخطوبة أو ..

قاطعته فى لهفة :

- كلاً .. لست مرتبطة بأى مخلوق .

أدهشته إجابتى المتسرّعة ، وأدهشتنى أيضاً ، حتى أن وجهى قد تضرَّج بحمرة خجل قانية ، وأنا أغمغم مطرقة برأسى فى حياء :

- حتى الآن .

خيّل إلىّ أنه قد حدّق فى وجهى طويلا ، قبل أن يغمغم :

- متى تظنين الموعد الأفضل لمقابلة والدك ؟

غمغمت ، وقد عجزت عن كبح ابتسامة فرحة ، ملأت وجهى :

- بعد انتهاء الامتحانات .

ابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يقول :



- وهو كذلك .

غادرت مكتبه وأنا أرتجف انفعالا ، وقلبى يرقص طرباً ، وأصبحت أنتظر انتهاء الامتحانات بفارغ الصبر ، حتى تتم خطبتى على ( فوزى ) ..

وجاءت الامتحانات ..

كنت أنا و ( عزة ) فى السنة الثانية ، و ( معتز ) فى السنة النهائية ..

وكانت امتحانات ذلك العام عسيرة للجميع ، ولكنها انتهت على خير ..

وبعد انتهاء الامتحانات مباشرة ، تقدم ( فوزى ) لخطبتى ، ووافق والدى ، وأقمنا حفل خطبة بسيط ، حضرته ( عزة ) وحدها ، إذ لم تكن لـ ( معتز ) صفة رسمية تبيح لى دعوته ..

وفى الحفل ، قبلتنى ( عزة ) فى سعادة ، وبدت شديدة الفرح لخطبتى ، وهى تهمس فى أذنى :

- تهنئاتى يا ( سوسن ) .. خطيبك رائع .

همست ضاحكة :

– شكراً يا (عزة) .. العقبى لك مع ( معتز ) .
تضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغمغم :
– بإذن الله .
سألتها فى اهتمام :
– متى سيتقدم لخطبتك ؟
غمغمت فى سعادة :
– بعد ظهور نتيجة البكالوريوس مباشرة .
قبَّلتها ، وأنا أقول فى سعادة :
– مبارك مقدماً يا صديقتى العزيزة ..
وظهرت نتيجة البكالوريوس ..
ولم ينجح ( معتز ) فحسب ، بل كان أوَّل دفعته .
وكانت سعادة ( عزة ) لا توصف ..
لقد تصوَّرت أمر سعادتها قد حانت ..
ولكنها كانت مخطئة ..
لقد كانت الفجوة بينها وبين ( معتز ) تتسع ، وتتسع .. وتتسع ..

* * *



## ٧ – الصدمة ..

لم تبدأ المتاعب الحقيقية إلا بعد نجاح ( معتز ) ..
يومها كانت ( عزة ) فى قمة سعادتها ، لنجاحه وتفوقه أوَّلا ، ولقرب خطبته لها ثانية ، ولم تبال بنظرات الجميع ، وهى تتعلق بذراعه ، أمام لوحة النتائج ، هاتفة فى سعادة بالغة :
– مبارك يا ( معتز ) .. مبارك يا أعز مخلوق لدىَّ فى الوجود .
ارتبك ، وهو يتلفت حوله ، واحتقن وجهه حينما التقت عيناه بعيون الآخرين ، وارتطمت بابتساماتهم الخبيثة ، فأمسك كفها ، قائلا فى خشونة :
– تعالى ..
لم تنتبه لخشونته لحظتها – كما أخبرتنى فيما بعد – فقد كانت السعادة تملأ كل جوانبها ، وهى تسير إلى جواره ، عبر فناء الكلية ، حتى أجلسها عند أكمة مزدهرة ، ووقف أمامها صامتاً ، يتأمَّلها فى جمود ، فمنحته أجمل ابتساماتها ، وهى تهمس :

— مبارك يا حبيبى .

ظل صامتاً، يتأملها بنفس الجمود ، مما بعث بعض القلق فى نفسها ، فلاذت بالصمت ، وهى تتطلع إليه بدورها ، إلى أن قال :

— إنك تنتظرين أن أتقـــدم لخطبتك .. أليس كذلك ؟

كان سؤاله فجأة ، خالياً من الذوق ، فغمغمت فى مزيج من الحيرة والخجل :

— إننى واثقـة من أنك سـتفعل ، عنـدما يحين الوقت المناسب .

جلس إلى جوارها ، وهو يقول فى حدة أدهشتها :

— ومتى يحين هذا الوقت المناسب ؟

أدارت وجهها ، وهى تغمغم :

— هذا يعود إليك وحدك .

قال فى حِـدَّة :

— ماذا تعنين ؟

أجابته وهى تسيطر على أعصابها تماماً :



— أعنى أنك تملك وحدك تحديد الموعد المناسب .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال فى حزم ، لم يكن له ما يبرره فى تلك اللحظة :

— سأقبل وظيفة معيد فى الكلية .

لم تعلق على عبارته ، فقد كان من الطبيعى أن يحصل أول الدفعة على تلك الوظيفة ، ومن النادر أن يتخلى عنها ، فلاذت بالصمت ، حتى أضاف هو فى عصبية :

— ومرتب هذه الوظيفة لا يتجاوز ستين جنيهاً شهريًّا.

تمتمت ( عزة ) فى خفوت :

— إنها تكفى .

فوجئت به يصيح فى غضب :

— تكفى ماذا ؟ .. إنها لن تكفى حتى لاستئجـار شقة متواضعة ، فى حى شعبى ، بفرض أننا سنحصل عليها دون خلو أو مقدم إيجار .

ارتجف قلبهـا ، وهى تحاول أن تفهم ما يقصـده بثورته ، وتمتمت فى صوت شديد الخفوت :

– إنها تكفى كبداية .

صاح فى عصبية بالغة :

– وكم من السنوات ستستغرق هذه البداية ؟ .. عشر سنوات مثلا .

تمتمت :

– ربما .

هتف فى حِدّة :

– ثم ماذا ؟ .. ستكون الأسعار قد تضاعفت خمس مرات و ..

قاطعته فى عصبية ، وقد عجزت أخيراً عن تمالك جأشها :

– وماذا يا ( معتز ) ؟

أدهشته حِدّتها ، التى لم تواجهه بها أبداً من قبل ، فصمت ، وهو يحدّق فى وجهها بدهشة ، فوجدت نفسها تستطرد فى عصبية :

– لِمَ لا تكشف أوراقك ، وتقول كل ما لديك فى صراحة ؟ .. لماذا تعمد إلى تلك المقدمة الطويلة ،



التى تبدو أشبه بمسلسلات التليفزيون ؟ .. قل بكل صراحة أنك تريد التنصل من خطبتى .

عقد حاجبيه ، وأشاح بوجهه ، وهو يغمغم فى غضب :

– إننى لم أقل هذا .

صاحت غاضبة :

– ولكنك تحاور وتناور للوصول إليه .

التفت إليها ، صائحاً فى حِدّة :

– لست محاوراً أو مناوراً .. المحاورة والمناورة أسلوب الضعفاء ، أما الأقوياء فيضربون هدفهم مباشرة .

صاحت به :

– خطأ يا فتى .. كل عباقرة الحروب يحاورون ويناورون ، لكسب معاركهم بأقل خسائر ممكنة .

– لست عبقرى حروب .

– ولكنك عبقرى فرار .

– فرار من ماذا ؟

— من مسئوليتك تجاهى .

توقف الحديث بغتة عند تلك النقطة ، وحدَجَها هو بنظرة غاضبة ساخطة ، ثم نهض من مكانه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وراح يتحرك أمامها فى عصبية ، خفتت تدريجيًا ، إلى أن قال فى توتُّر :

— أتعلمين ما هى متطلبات الزواج ؟

حاولت أن تخفِّف من عصبيتها ، وهى تجيب :

— نعم .. شقة للسكن ، وأثاث متواضع و ..

قاطعها فى حِدَّة :

— ومن يرضى بأثاث متواضع ؟

أجابته ، وهى تسيطر على أعصابها فى صعوبة :

— أنا ..

التفت إليها فى حِدَّة ، وكأنما لم يكن يتوقع منها هذا الجواب ، ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يغمغم فى سخط :

— هــــراء .

ثم لوَّح بذراعه ، هاتفاً فى عصبية :



— كل الفتيات يقلن ذلك ، حتى تتم خطبتهن ، ثم يرهقن خطابهن بمطالبهن ، التى يأبين أن تقل عما لدى الأخريات .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تتمتم :

— لست من هذا النوع يا ( معتز ) .

لم يبد عليه أنه قد سمعها ، وهو يواصل عصبيته :

— وحتى لو وافقت الفتاة على مستوى متواضع ، فإن أهلها لا يقبلون ذلك أبداً ، بل يصرُّون على أن تبدأ ابنتهم حياتها ، من حيث انتهت حياتهم هم ، وأن تجد لديها — منذ البداية — ما حصلوا عليه هم بشق الأنفس ، بعد سنوات من العمل والعرق والكفاح .

أرهقتها عصبيته المتواصلة ، التى صدمتها فى اليوم الذى تصوَّرته بداية سعادتها ، فقالت فى توتُّر :

— ما الذى تريد أن تصل إليه بالضبط يا (معتز) ؟ أتريد أن تقول إنك لن تخطبنى ؟

لم يفه بحرف واحد ، وهو يشيح بوجهه بعيداً ، فأكملت فى عصبية :

ـ قلها صراحة إذن .. إنك تفرّ من وعودك .
أجابها فى توتُّر ، دون أن يلتفت إليها :
ـ الزواج مسئولية ضخمة .
هتفت فى حِدَّة :
ـ كان ينبغى أن تفكِّر فى ذلك منذ البداية ، لا أن تفاجئنى به اليوم .
استدار إليها فى حركة حادَّة ، وأشار إليها ، صائحاً فى غضب :
ـ هذا الكلام ينطبق عليك أنت ، لا علىَّ أنا ، فلم أسع إليك أبداً .. أنت سعيت خلفى دوماً ، ومنذ البداية .
شحب وجهها ، وتراجعت كالمصعوقة ، وهى تقول :
ـ (معتز) ؟! .. ماذا تقول ؟
صاح بها فى قسوة :
ـ أقول إنك أنت أردت هذا الارتباط ، وأنت سعيت إليه ، لا أنا .



امتقع وجهها فى شِدَّة ، وتراجعت فى ذعر ، واتسعت عيناها ، وهى لا تصدِّق ما تسمعه أُذناها ، وخيِّل إليها أنها ستسقط فاقدة الوعى ، إلا أنها تماسكت وقاومت دوارها فى حزم ، وغمغمت :
ـ أنت على حق يا (معتز) .. أنا سعيت إلى ذلك ، وأنا أستحق ما تفعله بى الآن .
ويبدو أن المرارة ، التى نطقت بها كلماتها ، قد مسَّت شغاف قلبه ، إذ أسرع إليها ، وهو يغمغم فى ارتباك :
ـ (عزة) .. إننى لم أكن أقصد .
أزاحته عنها فى عنف ، وهى تهتف :
ـ ولا أنا .
تراجع بضع خطوات ، ووقف يتطلع إليها فى شحوب ، على حين تراجعت هى ، وهى تغمغم فى ألم ومرارة :
ـ إننى أستحق كل ذلك يا (معتز) .. أستحق كل ذلك .

ثم اندفعت تعدو مبتعدة ..

لقد بدت لى شديدة الانهيار ، وهى تقصُّ علىَّ كل ذلك ، حتى أننى شعرت وقتئذ بكراهية شديدة لـ ( معتز ) هذا ، ولم أجد ما أقوله سوى أن أغمغم على نحو متواصل :

– لقد حذَّرتك يا ( عزة ) .. لقد حذَّرتك .

ظلت تبكى فى انهيار كامل ، لثلاث ساعات متواصلة ، حتى لقد خيِّل إلىَّ أن دموعها قد جفت تماماً ، وأنها لن تبكى ما بقى لها من العمر ، قبل أن تغمغم فى مرارة :

– كان ينبغى أن أستمع إليك يا ( سوسن ) .. إننا مازلنا فى مجتمع شرقى ، ومن العسير أن يتغير ذلك ، فى جيلنا على الأقل .

غمغمت ، وأنا أضمها إلى صدرى فى حنان وإشفاق :

– لن يتغير أبداً .

كنت أشعر بعمق الإهانة ، التى أهانها لها (معتز) ،



عندما هاجمها بكونها هى التى سعت إليه ، وعلى الرغم من أن ذلك كان حقيقيًّا ، إلا أن هذا لم يمنعنى من الشعور بكراهيته فى شدة ، وأنا أربت على كتفها ، مغمغمة فى غضب :

– انسيه يا ( عزة ) .. أسقطيه من عقلك وقلبك تماماً .

سالت دموعها فى غزارة ، وهى تقول فى ألم :

– اطمئنى يا ( سوسن ) .. لقد انتهى ( معتز ) من حياتى .. انتهى إلى الأبد .

* * *



## ٨ - النـــدم ..

جاء توقيت تلك الصدمة ، التى أصابت ( عزة ) ، متوافقاً مع نهاية العام ، مما جعل من الطبيعى ألا تلتقى بـ ( معتز ) بعدها لفترة طويلة ، قضتها كلها فى منزلها ، على عكس عادتها ، حتى لقد شعر والدها ووالدتها بالقلق ، بعد أن لاحظا كيف فقدت ابنتهما مرحها ونشاطها وحيويتها ، وصارت تقنع فجأة بالجلوس فى حجرتها ، ومشاهدة برامج التليفزيون بعض الوقت ، وعندما ذهبت لزيارتها ، بعد شهر واحد من صدمتها ، استقبلتنى والدتها ، وهمست فى أذنى فى قلق :

— ( سوسن ) .. أيضايقك لو تحدثنا معاً بضع لحظات ، قبل أن أخبر ( عزة ) بمقدمك .

لم يدهشنى مطلبها أو أسلوبها ، إذ كنت أعلم أنها شديدة القلق على ابنتها بالضرورة ، وشديدة الرغبة فى معرفة ما أصابها ..

ولقد كنت أشاركها قلقها الشديد على ( عزة ) ،



إلا أننى كنت أختلف عنها فى أننى أعلم سببه ..

وفى حذر وتوتُّر ، وكسارقين يتسللان إلى متجر مظلم ، قادتنى الأم إلى حجرتها ، وأجلستنى على طرف فراشها ، ثم جلست إلى جوارى صامتة ، وكأنما تخجل من بدء الأمر ، حتى سألتها أنا فى هدوء :

— ماذا هناك يا أماه ؟

تطلعت إلىّ بعينين قلقتين ، ومالت نحوى تقول :

— أنت أصدق أصدقاء ( عزة ) .. أليس كذلك؟

أومأت برأسى إيجاباً ، دون أن أنطق بحرف واحد ، فسألتنى فى لهفة وقلق :

— أتعلمين ماذا أصابها ؟

ارتبكت لحظة ، وأنا أبحث عن جواب مناسب ، ثم غمغمت :

— إنه بعض الضجر من روتينية الحياة فحسب يا أماه .

ارتسم الحزن فى عينيها ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

— لست أسعى خلف تبريرات تقليدية يا بنيتى ، وما طلبت التحدث إليك بمفردنا ، لأسمع منك عبارات مجاملة ، وإنما أنا أم ، والأم يا بنيتى تشعر دوماً بكل ذرة حزن فى نفوس أبنائها .. سلى أمك ، وستخبرك أننى على حق .

غمغمت فى تلعثم :

— أنا واثقة من ذلك .

عادت تقول فى حزن :

— إننى أعلم أن ( عزة ) حزينة .. حزينة من شىء ما ، ولكن يبدو أن هذا الشىء خاص جداً ، إلى حد أنها تخفيه عنى وعن والدها ، فى إصرار ، ولكنك صديقتها الوحيدة ، ومن المؤكد أنك تعلمين سر حزنها.

ترددت ، وأنا لا أدرى بم أجيب ، فلقد شعرت أن أم ( عزة ) ستكشف كذبى على الفور ، لو أننى أجبت بالنفى ، وستطالبنى بإخبارها بالتفاصيل ، لو أننى أجبت بالإيجاب ، ولم يكن من حقى كشف سر (عزة) أبداً ..



ولكنها كانت سيدة ذكية ..

لقد بدا لى وكأنها قد أدركت حيرتى ، وهى تقول فى قلق :

— أهو حب ؟

لم أجب بالإيجاب ، ولكن التردّد بدا واضحاً فى ملامحى ، فاستطردت الأم فى لهفة :

— هل هجرها ؟

لم أملك فى هذه المرة سوى أن أومئ برأسى إيجاباً ، فأطلّ الحزن من عينى الأم ، وهى تغمغم فى ألم :

— هو الخاسر .. إنه لن يجد مثل ( عزة ) أبداً .

مضت لحظة أخرى ، غلّفنا خلالها الصمت ، ثم نهضت الأم ، وغمغمت :

— شكراً يا بنيتى .. هذا كل ما أردت معرفته .

غادرنا حجرتها ، ومضت بى إلى حجرة (عزة) ، وطرقت بابها ، ثم ربّتت على كتفى ، وابتسمت فى وجهى بحزن ، وتركتنى وانصرفت ..

وسمعت أنا صوت ( عزة ) من الداخل ، تقـول فى حزن :

– مَنْ ؟

أجبتهـا فى صـوت خافت ، وكأننى لا أجرؤ على مواجهتها ، بعد أن أفشيت سرها :

– أنا ( سوسن ) .

مضت لحظات ، قبل أن تفتح لى باب حجرتها ، وتطل علىَّ بوجه شاحب باهت ، وعينين غائرتين ، وابتسامة مبتسرة ، وهى تغمغم :

– مرحباً بك يا ( سوسن ) .

قبلتها فى عطف ، وجلست معها على طرف فراشها ، وسألتنى ، وهى تحمل نفس الابتسامة الباهتة :

– كيف حال خطيبك ؟

أجبتها فى خفوت :

– فى خير حال ، وهو يرسل لك سلامه .

أومأت برأسها ، وكأنها تجيب سلامه ؟ وغمغمت :

– لقد قرأت له مقالا رائعاً فى جريدة الـ ..



قاطعتها فجأة :

– إلى متى يا ( عزة ) ؟

رفعت عينيهـا الذابلتين إلىَّ ، وقالت فى حيرة وشرود :

– إلى متى ماذا ؟

أجبتها فى صرامة :

– إلى متى ستقتلين نفسك من أجله ؟

أشاحت بوجهها فى ألم ، وهى تغمغم :

– أرجوك يا ( سوسن ) .

ولكننى لم أستجب لرجائها ، بل واصلت ، قائلةً :

– ليس هناك ما يدعوك إلى كل هذا الحزن .. لقـد قلـت من قبل إنه لو لم يقدِّر مبادرتك ، فهـو لا يستحقك .. اعتبريه لا يستحقك إذن ، وانسيه تماماً .

قالت فى مرارة :

– لقد أهاننى .

كنت أتمنى أن أواسيها ، وأن أهوِّن عليها أمرها ،

إلا أننى قرَّرت أن أتعامل معها كما يتعامل الجرَّاح مع ورم خبيث ..
أن أستأصل آلامها بكل قسوة ، رحمة بها ..
وفى خشونة ، قلت لها :
– لمــاذا ؟
التفتت إلىَّ فى دهشة ، وهتفت فى حيْرَة :
– ماذا تقولين يا ( سوسن ) ؟ .. ألم أخبرك ؟
– أخبرتنى بماذا ؟
– عجباً ! .. ألم أقل لك إنه قال إننى أنا التى سعيت إليه ؟
أجبتها بكل برود :
– وهــذا صحيح .
حدَّقت فى وجهى بذهـول ، دون أن تنجح فى نطق حرف واحد ، فأضفت فى حزم :
– هـذا ما حـدث أمامى .. إنه لم يبح لك بحبه أبداً .. أنت سعيت إليه بالفعل ، وكنت تريدين أن تخبريه بنفسك أيضاً .. أليس هذا هو ما حدث ؟



اتسعت عيناها لحظات فى هلع ، ثم أطرقت بوجهها ، وغمغمت فى مرارة :
– بلى .
قلت فى صرامة :
– لماذا تعتبرين ذكره لذلك إهانة إذن ؟
طال صمتها بعض الوقت ، قبل أن تغمغم فى ألم :
– يبدو أننى قد أخطأت .
ثم رفعت عينيها الحزينتين إلىَّ ، مستطردة :
– فى الحالتين .
وعادت تطرق بوجهها أرضاً عدة لحظات ، خيَّم على الحجرة خلالها صمت مطبق ، قبل أن تنفجر فجأة ، وتجهش ببكاءٍ حار ..
ولم أحاول تهدئتها ..
كان هذا أسلوبى معها كلَّما بكت ..
كنت أتركها لتسكب كل انفعالاتها مع دموعها ، حتى تهدأ وحدها ..
وجلست على طرف الفراش ، أتطلَّع إليها فى

إشفاق وتعاطف ، وهى تسكب أحزانها ودموعها فى غزارة ..

وأخيراً ، وبعد نصف ساعة كاملة ، توقفت (عزة) عن البكاء ..

توقفت فجأة ، كما بدأت ..

ومضت عشر دقائق أخرى فى صمت مطبق، قبل أن تبدأ هى الحديث ، قائلة :

– متى ستتزوجين ؟

أدهشنى سؤالها ، إلا أننى أجبت فى هدوء :

– (فوزى) يريد أن نتزوَّج قبل بدء الموسم الدراسى القادم .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

– وماذا تريدين أنت ؟

هززت كتفىَّ ، وأنا أقول فى لا مبالاة :

– لست أهتم كثيراً بتحديد موعد الزفاف .

تطلَّعت إلىَّ فى حيْرَة ، وهى تسألنى :

– ألست تحبينه ؟



أجبتها فى هدوء :

– ليس من الضرورى أن أحبه .. المهم أن يحبنى هو ..

هتفت فى دهشة :

– أى منطق هذا ؟

أشرت إلى رأسى ، وأنا أقول :

– منطق العقل .

ابتسمت فى حيرة ، وهى تغمغم :

– كيف ؟

أجبتها فى رصانة :

– إنه زوج مناسب من كل الوجوه ، وأنا لست غارقة فى حب أى مخلوق ، ولن أنتظر حتى أقع فى حبه .. إننى أوافق على الزواج منه بمنطق عقلى فقط ، وأطمئن إلى أنه ما دام يحبنى ، فسيسعى لإسعادى ، وسيدفعنى هذا بالضرورة إلى حبه .

غمغمت فى دهشة :

– يا له من منطق عملى !

– لوَّحت بكفى ، قائلةً :

– إنه منطق عصرنا .

مطَّت شفتها السفلى ، وأومأت برأسها إيجاباً ، وهى تقول فى خفوت :

– أنت على حق .

ونهضت من فراشها ، وقد بدت لى وكأن حيويتها قد عادت إليها ، وقفت تتطلع عبر نافذة حجرتها فى صمت ، إلى أن قالت فى هدوء :

– أتعلمين أن (حازم) ، ابن خالتى ، يسعى لخطبتى منذ عام تقريباً ؟

هتفت فى دهشة :

– (حازم) ؟! .. أتقصدين ذلك المهندس الوسيم؟

أومأت برأسها إيجاباً ، دون أن تدير عينيها عن النافذة ، فهتفت فى دهشة :

– ولكنك لم تخبرينى بذلك من قبل .



هزَّت كتفيها ، وهى تقول :

– لم أعتقد أنه أمر يستحق الذكر ، ثم إننى لم أشأ إشاعة الأمر ، ما دمتُ أرفضه .

غمغمت فى أسف :

– يا للخسارة ! .. إنه شاب ناجح وممتاز .

تمتمت فى هدوء :

– نعم .. إنه كذلك .

سألتها فى دهشة :

– لماذا ترفضينه إذن ؟

صمتت لحظات ، أدركت خلالها سخافة سؤالى ، إذ أننى أكثر من تعرف سر رفضها لابن خالتها ، فى أثناء ارتباطها بـ (معتز) ، واحتقن وجهى لحظة ، وأنا أستطرد :

– أعنى هل تقدَّم لك مرة أخرى قريباً ؟

عادت تومئ برأسها إيجاباً ، دون أن تلتفت إلىَّ ، مغمغمة :

– أوَّل أمس .

سألتها فى فضول :

– وماذا قرَّرت ؟

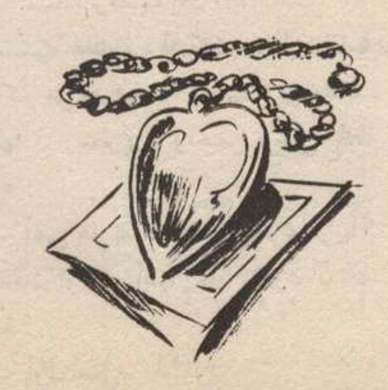
أجابتنى فى هدوء :

– سأتبع منطق العقل .

ثم التفتت إلىَّ ، مستطردة فى حزم :

– سأقبل خطبة ( حازم ) .

* * *





## ٩ – سبق السيف العزل ..

يبدو أن تلك الخطبة كانت ما تحتاج إليه ( عزة ) بالضبط ، لتجاوز صدمتها ، فلم تكد تعلن موافقتها على الارتباط بابن خالتها ( حازم ) ، حتى ذهب شحوبها ، وتلاشى توتُّرها وحزنها ، وعاد إليها مرحها مرة أخرى ، مما جعلنى أوقن من أن المرأة هى المرأة ..

كل امرأة ، فى العالم بأسره ، تحب أن تشعر بأنها مرغوبة ..

هذا وحده يملأ نفسها بالسعادة والحيوية ، ويدفع النشاط فى عروقها وقلبها ..

ولقد كنت أرى – فى الواقع – أن (حازم) زوج مناسب جدًّا لـ ( عزة ) ، فهو فى الثلاثين ، مهندس ناجح ، وسيم ، ثرى ، يملك كل متطلبات الزواج ..

إنه باختصار الزواج المناسب لأى زواج عقلانى .

وفى صباح اليوم المحدد للخطبة ، ذهبت إلى الكلية ، لأؤكد لـ ( فوزى ) ضرورة الحضور ، ولأصحبه لشراء

هدية مناسبة لـ ( عزة ) ، وبينما كنت أصعد إلى حيث حجرة الأساتذة ، فوجئت بـ ( معتز ) أمامى ..

كان قد ازداد شحوباً ونحولا ، على نحو مثير للدهشة ، وبدا وجهه أشبه بجمجمة ترتدى منظاراً طبيًّا ، وكان صوته أشد شحوباً ، وهو يقول فى لهفة أدهشتنى :

ـ آنسة (سوسن) ؟! .. يا لها من مصادفة !

ابتلعت دهشتى فى سرعة ، وقلت فى برود :

ـ كيف حالك يا أستاذ ( معتز ) ؟

هتف وكأنما كان يحلم بلقائى :

ـ فى خير حال .. كيف حالك أنت ؟

ثم تردد لحظة ، قبل أن يضيف فى ارتباك :

ـ وكيف حال ( عزة ) ؟

راودتنى رغبة قوية فى أن أخبره بخطبتها ، إلا أننى أجبت فى هدوء :

ـ إنها فى خير حال .. معذرة .. لقد كنت فى طريقى إلى ..



قلت هذا ، وأنا أتحرك مبتعدة ، فهتف فى توتُّر :

ـ آنسة ( سوسن ) .

عدت أتوقف ، وأسأله فى برود :

ـ ماذا تريد ؟

ارتبك وتلعثم لحظة ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ـ أتعلمين لماذا أنا هنا ؟

أجبته باستخفاف :

ـ إنك تعمل هنا .. أليس كذلك ؟

أجاب فى شحوب :

ـ ليس بعد .

نجحت إجابته فى إعادة الدهشة إلى وجهى ، وأنا أسأله :

ـ ماذا تعنى بليس بعد ؟

اعتدل ، وهو يغمغم :

ـ لقد تقدمت اليوم باستقالتى .

حدَّقت فى وجهه لحظة فى صمت ودهشة ، قبل أن أغمغم فى حيْرَة :

ـ وما شأنى أنا بذلك ؟

ارتبك مرة أخرى ، ومسح عرقه الغزير بمنديله ، بأصابع مرتجفة ، قبل أن يغمغم :

ـ هل تلتقين بـ ( عزة ) ؟

عدت إلى الحديث بتلك اللهجة الجافة ، وأنا أقول :

ـ نعم .

مال نحوى ، قائلا فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ أيمكنك إبلاغها رسالة ؟

أحنقنى سؤاله فى شدة ، لسبب ما ، فهتفت به فجأة فى غضب :

ـ كلاَّ .

تراجع فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ ماذا ؟

وجدت نفسى أنفجر صائحة :

ـ ماذا تريد منها ؟ .. ما الذى تنوى أن تفعله بها ؟ .. ألا يكفيك أنك قد حطمتها ؟



ابتعد عنها .. افعل خيراً وابتعد عنها .

شحب وجهه ، وهو يغمغم فى مرارة وألم :

ـ حطمتها ؟!

صِحْتُ به فى سخط :

ـ ألم تتوقع هذا قَطّ ؟

أطرق برأسه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ مطلقاً .. لقد فعلت كل ذلك من أجلها .

عدت أُحدِّق فى وجهه بدهشة ، وأنا أهتف باستنكار :

ـ من أجلها ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ، وهو يقول فى مرارة :

ـ نعم .. من أجلها .. أتظنين أننى رجل بلا قلب ؟ .. أتتصوَّرين أنه كان من السهل أن ألقى إليها بكلمات جارحة ؟ .. لقد فعلت كل ذلك حتى أدفعها إلى كراهيتى .

غمغمت فى دهشة وحيرة :

ـ كراهيتك ؟!

هتف فى ألم :

– نعم .. أتدرين لماذا ؟ .. لأن ( عزة ) مخلوقة رائعة ، تذوب رقة وأنوثة ، وأنا شاب عادى ، من أسرة أقرب إلى الفقر ، ولن يمكننى أبداً أن أوفّر لها حياة تحافظ على رقتها وأنوثتها .. لقد أغشى حبها عينىّ وعقلى ، حتى كدت أهمل تلك الحقيقة وأتناساها ، ثم لم ألبث أن أدركتها بكل قسوتها ، حينما ظهرت نتيجة البكالوريوس ، وعلمت أن معركتى مع الحياة قد حانت .. يومها قررت أن أجعل ( عزة ) تكرهنى ، حتى تبتعد عنى بلا جراح أو ندم .

غمغمت فى شك :

– إننى أشتم رائحة واحد من الأفلام السينمائية الرخيصة .

قال فى ألم :

– كلاً يا ( سوسن ) .. إنها الحقيقة .

كانت كلماته تقطر بالمرارة ، على نحو يستحيل معه



أن يكون كاذباً أو مخادعاً ، فشعرت نحوه بشفقة حقيقية ، وأنا أسأله فى خفوت :

– إذن فمازلت تحبها ؟

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال بكلمات دامعة :

– بل أذوب عشقاً لها .

تنهّدت فى أسف ، وغمغمت :

– يا للخسارة ! .. سبق السيف العزل .

أمسك كتفى فى قوة ، وهو يقول :

– ليس بعد يا ( سوسن ) .

ثم مال نحوى ، مستطرداً فى حزم :

– أتدرين لماذا تقدمت باستقالتى ؟ .. لقد سعيت منذ افتراقى عن (عزة) ، للحصول على وظيفة جيّدة ، بمرتب يتيح لى التقدُّم لخطبتها ، ولقد عثرت عليها أخيراً .. إننى أحمل عقداً ، للعمل كصحفى سياسى ، فى جريدة الأنباء الكويتية ، بمرتب يكفى للحصول على كل مستلزمات الزواج فى عام واحد .

هتفت فى دهشة :

— وكيف حصلت على مثل هذا العقد ، دون خبرة كافية ؟

ابتسم ، وهو يقول فى حماس :

— لقد كانت الجريدة تنشر لى بعض المقالات بالمراسلة ، منذ كنت فى السنة الأولى بالكلية ، ولكننى لم أتوقع فى الواقع أن يعتبروا ذلك فترة خبرة كافية .

أدهشتنى المفاجأة ، فرحت أردّد :

— يا إلهى ! ! .. يا للمفاجأة ! !

هتف فى حرارة :

— لقد فعلت ذلك من أجلها يا ( سوسن ) .

تنهّدت ، وأنا أغمغم فى أسف :

— سبق السيف العزل .

هتف فى حماس :

— ليس بعد .. إننى ذاهب إلى منزل ( عزة ) الآن .. سأتقدم لخطبتها ، وأعتذر لها عن كل ما بدر منى و ..

قاطعته فى ألم :



— سبق السيف العزل يا ( معتز ) .

حدّق فى وجهى لحظة فى حيْرَة ، ثم سألنى فى صوت مرتجف :

— ماذا تقصدين ؟

لم أستطع مواجهة عينيه ، فخفضت عينىَّ ، وأنا أجيب فى خفوت :

— الليلة خطبة ( عزة ) إلى ابن خالتها ( حازم ) .

لم يفه بحرف واحد ، مما أشعرنى بفضول شديد لرؤية ملامحه ، ولم أكد أرفع عينىَّ إلى وجهه ، حتى هالنى ما رأيت ..

كان وجهه قد امتقع ، وغابت منه دماء الحياة تماماً ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وانقبضت عضلات وجهه كلها ، حتى بات مظهره مخيفاً ، قبل أن يتمتم فى ألم وحزن هائلين :

— خطبتها ؟!

أومأت برأسى إيجاباً ، ولمحت دمعتين تترقرقان فى عينيه ، وهو يشرد ببصره بعيداً ، فغمغمت فى أسف :

– ( معتز ) .. هكذا شاء القدر و ..

أسكتني بإشارة من يده ، وقال بصوت أكثر شحوباً من وجهه :

– إنها تستحق من هو أفضل مني بالتأكيد .

ثم أجبر نفسه على أن يبتسم ابتسامة شاحبة ، مستطرداً :

– فحتى الآن لست أملك ما أقدّمه لها ، سوى هـذا .

ثم أشار إلى صدره ، مستطرداً في ألم :

– قلبي .

ودون أن أدرى ، وجدت نفسي أبكي ..

أبكي نهاية قصة حب ..

* * *



## ١٠ ـ الهـدية ..

كانت أول مرة أكشف فيها الاختلاف الشديد بيني وبين زوجي هي في ليلة خطبة ( عزة ) إلى ( حازم ) ..

لقد أشرت عليه بارتداء حلة فاتحة اللون، ورباط عنق داكن، نظراً إلى أننا في فصل الصيف ، إلا أنه قد ارتدى حلة داكنة ، ورباط عنق فاتح اللون..

قد يبدو ذلك تافهاً في نظركم ، ولكنه ليس كذلك في نظرى ..

هل قرأتم آخر الأبحاث العلمية عن علاقة شخصية المرء بألوان ثيابه ؟ ..

لقد قرأت أنا هذا البحث ..

قرأته بإمعان شديد، وهو يؤكّد، طبقاً لما حدث، أنني و ( فوزى ) نختلف عن بعضنا تماماً ..

ولقد أثبتت الأيام ذلك ..

المهم .. دعونا لا ننحرف مرة أخرى عن قصتنا..

لقد ذهبت في تلك الليلة إلى حفل خطبة ( عـزة )

و ( حازم ) ، بصحبة زوجى - خطيبى آنذاك - ( فوزى ) ، وكنا الضيفين الوحيدين ، من خارج الأسرة ، فى الحفل العائلى البسيط ، ولقد بدت ( عزة ) باهرة الحسن ، رائعة الجمال ، فى ثوب وردى أنيق ، أخفى بعض شحوب وجهها ، الذى أدهشنى ، حتى أننى انتهزت فرصة مصافحتى وتقبيلى لها ، وهمست فى أذنها :

- ماذا بك ؟ .. إنك شاحبة للغاية !

كان من الواضح أنها تجبر نفسها ، على رسم تلك الابتسامة الباهتة على شفتيها وهى تهمس :

- لا شىء يا (سوسن) .. فقط تذكرت أمراً ما .

كدت ألعن نفسى ، حينما أفلت لسانى ، قبل أن أدركه ، ليقول :

- فى ( معتز ) .

ازداد شحوبها ، لحظة نطق بالاسم ، وأومأت برأسها إيجاباً ، فهمست فى توتر :

- لم يعد لـ ( معتز ) مكان فى قلبك يا ( عزة ) .. ينبغى أن تدركى ذلك .



أجابتنى فى مرارة :

- تقصدين أنه لم يعد له مكان فى حياتى ، وليس فى قلبى ، فهو يمتلك قلبى كله .

غمغمت فى دهشة :

- كيف يا (عزة) ؟ .. لقد تصورت أن مرحلك فى الأيام السابقة ، كان يعنى ..

قاطعتنى فى حزن :

- لم يكن سوى محاولة لإقناع نفسى بأن هـذا ما أريده يا ( سوسن ) .

تمتمت فى ارتياع :

- يا إلهى !!

أجابتنى فى حزن :

- لا عليك يا ( سوسن ) .. لقد قبلت خطبتى إلى ( حازم ) بإرادتى .

تمتمت فى حزم :

- ينبغى أن تنسى ( معتز ) يا ( عزة ) .. ينبغى ذلك .

هزّت رأسها نفياً فى بطء ، وهى تقول :
– لست أملك ذلك يا ( سوسن ) .. لست أملك ذلك .
مال (حازم) نحونا فى تلك اللحظة ، وضحك وهو يقول :
– الهمس ممنوع هذه الليلة ، إلا مع الخطيب .
ابتسمت ( عزة ) فى شحوب ، وتراجعت أنا فى ارتياع ..
لا ينبغى لها أن تفكر فى ( معتز ) الآن ..
ولا فيما بعد ..
لقد صارت ملكاً لرجل آخر ، وينبغى لها أن تستسلم لواقعها ..
أفقت من أفكارى على صوت والد ( عزة ) ، وهو يقول :
– لقد وصلتك هدية خاصة يا بنيتى .
التفتت إليه ( عزة ) فى شرود ، وهى تغمغم :
– أية هدية يا أبى ؟



ناولها علبة مخملية ، وهو يقول :
– ها هى ذى .
تناولتها منه فى آلية ، ووضعتها إلى جوارها ، وهى تسأله فى روتينية :
– مَنْ أرسلها ؟
هزّ والدها كتفيه ، وهو يقول :
– لست أدرى .. إنها تحمل اسمك فحسب .. افتحيها ، فربما كانت هناك بطاقة داخلها ..
لست أدرى لماذا خفق قلبى فى قوة ، حينما رأيتها تفتح العلبة ؟! ..
– أهى غريزة المرأة ، كما يقول الأدباء ؟! ..
أم هو استنتاج سريع ؟ ..
المهم أن اختلاج قلبى قد تضاعف فى قوة ، عندما رأيت ذلك البريق ، الذى أطل من عينى ( عزة ) ، وهى تتطلع إلى داخل العلبة ، واشتعلت فضولا ، وأنا أتساءل عما رأته داخل العلبة ..
وبينما أقترب منها ، سمعت والدها يقول :

- لا توجد بطاقات ، ولكنها فى الواقع هدية رائعة ، تشفّ عن حسن ذوق مرسلها .

زاد هذا من فضولى ، فاندفعت نحو ( عزة ) ، وقبل أن أسألها عن الهدية ، سمعت (حازم) يقول فى صرامة :

- مَنْ صاحب هذه الهدية ؟

أجابته ( عزة ) فى حذر ، وهى تغلق العلبة فى اهتمام ، وتدسها جانبها ، بعيداً عن يده :

- ولماذا صاحب؟.. لِمَ لا تكون صاحبة الهدية ؟

قال فى حِدّة :

- هذه الهدية لا يرسلها سوى رجل .

قالت فى توتّر :

- لماذا ؟

أجاب فى صرامة :

- لأنها لا تحمل أية توقيعات ، ولأن تكوينها لا يصلح إلا كهدية من رجل إلى امرأة ، أو العكس .

تنهّدت ، وأجابت فى توتّر :

- فليكن .. لا أحد يعلم مَنْ مرسلها .



مدّ يده يحاول اختطاف العلبة ، وهو يقول فى صرامة :

- أنت تعرفين .

أسرعت تبعد العلبة عن يده ، قائلة فى جذع :

- مَنْ وضع فى عقلك هذه الفكرة ؟

نجح فى اختطاف العلبة ، وهو يقول فى غضب :

- الهدية نفسها .

تعلّق بصرى بأصابعه ، وهو يفتح العلبة المخملية ، ويلتقط من داخلها الهدية فى غضب ..

ولم أكد ألمح تلك الهدية ، حتى علمت على الفور أن ( معتز ) مرسلها ..

لقد كانت عبارة عن قلب من الذهب ..

قلب لا يحمل أية علامات أخرى ..

وأدركت على الفور ما الذى يعنيه بذلك ..

إنه يهديه إليها ..

يهدى إليها قلبه ..

* * *

# ١١ ـ رحلة قلب ..

أحداث كثيرة جرت ، فى العام التالى لخطبة(عزة)..

سافر ( معتز ) إلى ( الكويت ) ، وبدأت مقالاته فى الظهور ، وسرعان ما لمع نجمه فى سماء الصحافة هناك ، واشتهر بمقالاته الجريئة القوية ، التى صرنا ندرسها فى الكلية ، ونحن نشعر بالفخر ؛ لأن صاحبها زميل سابق ، لم يمض على سفره أكثر من عام واحد .

وكانت ( عزة ) أكثرنا سعادة بنجاح ( معتز ) ، حتى أننى شعرت بدهشة بالغة ، وسألتها يوماً :

ـ أما زلت تحبينه يا ( عزة ) .

أجابتنى فى ثقة : بالتأكيد .

هتفت فى استنكار :

ـ ولماذا بالتأكيد ؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة، وهى تجيب :

ـ لأننى قد منحته قلبى منذ زمن ، ولم يعد لدىَّ ما أمنحه لسواه .



ـ وماذا عن ( حازم ) ؟

ـ إنه خطيبى .

ـ دون قلبك .

ـ إنه مبدؤك .. لقد اخترته بعقلى فقط .

ـ أنت تلعبين بالنار يا ( عزة ) .

ـ لا عليك .. ربما كنت أهوى ذلك .

كم تمنيت يومها لو أخبرتها بما سمعته من (معتز) ...

كم تمنيت لو أنها عرفت كم يحبها ..

أكان ينبغى أن أفعل يا تُـرى ؟ ..

أكان من الضرورى أن أضىء لها الطريق ؛ لتعلم حقيقة مشاعره نحوها ؟ ..

كم ألقيت هذا السؤال على نفسى ، دون أن أحظى منها بجواب شاف ..

جزء من نفسى كان يجيبنى بالإيجاب ، مؤكداً ضرورة أن أخبرها ، ما دامت تحمل له كل هذا الحب ، وهى تتصوَّره عازفاً عنها ..

وكان لهذا الجزء من نفسى منطقه ..

كان يرى أن العقبة ، التى كانت تعترض طريق حبهما ، قد انزاحت ، بنجاح ( معتز ) ، وعمله فى ( الكويت ) ، وأن ذلك يجعل من الضرورى أن يلتقيا مرة أخرى ، وأن تعود شمس الحب ، لتشرق فى سماء حبهما ..

وكان يرى أنه ليس من المهم أن تمضى الحياة على ما هى عليه ، وإنما المهم أن تمضى على ما ينبغى أن تكون عليه ..

أما الجزء الآخر من نفسى ، فقد كان له رأى آخر ..

كان يرى أن الخطبة مرحلة من مراحل الزواج ، وأنه ما دامت ( عزة ) تضع فى إصبعها دبلة ( حازم ) ، فهى ملك له ، ومن الخيانة أن تصبح لغيره ..

وأيًّا ما كان رأيكم ، فقد أطعت ذلك الجزء الآخر ، ولست أدرى لماذا ، فلم أخبر ( عزة ) بما سمعته من ( معتز ) ..

وعلى الرغم من ذلك ، كانت علاقة ( عزة )



بـ ( حازم ) تسير من سيئ إلى أسوأ ، إذ تعارضت شخصيتاهما فى شدة ، على الرغم من أن ( عزة ) قد فقدت الكثير من مرحها وبساطتها ، على مدار ذلك العام ، وصارت أميل إلى الرصانة والاتزان ، على نحو تدريجى ، لم يلحظه من زملائنا سواى ، لاهتمامى الشديد بأمرها ، فقد كان ( حازم ) من ذلك النوع ، الذى يسرى الشك فى عروقه ، ويجرى فيها مجرى الدم ، مما يجعله شديد الغيرة ، كثير التساؤلات ، على حد كفيل بإثارة أعصاب أشد الناس هدوءًا ، أضف إلى ذلك أنه قد علم بقصة ( عزة ) مع ( معتز ) ..

لقد أثار ذلك القلب الذهبى ، الذى وصل إلى ( عزة ) ، فى يوم خطبتهما شكوكه ، فراح يتحرَّى عن ماضيها بأسلوب بوليسى ، حتى عرف كل قصتها مع ( معتز ) ، فيما عدا سبب انفصام تلك العلاقة ، الذى لم يكن يعلمه أحد سوانا ..

ولقد أحال ( حازم ) حياة (عزة) بسبب ذلك ، إلى جحيم ..

كان يصرّ على أن يوصّلها بنفسه إلى الكلية ، وأن ينتظرها فى العودة ، ويفاجئها أحياناً بزيارتها فى الكلية ، ويرمق كل من تتحدث إليه شذراً ، حتى صارت تكره قدومه أو مقابلته ، وتملّ صحبته ..

وعلى الرغم من سفر ( معتز ) إلى ( الكويت ) ، فقد كان ( حازم ) يغار منه فى شدة ، ويكره أن يرى ( عزة ) تقرأ مقالاته ، حتى أنه منعها من شراء جريدة الأنباء الكويتية تماماً ..

وذات يوم عيل صبرها ، فصاحت به فى غضب :

( حازم ) .. إنك تتجاوز حدودك .. لست أسمح لك أبداً بفرض رأيك على ما أقرأ ، وما لا أقرأ .

أجابها فى عناد :

— بل سأفرض كل ما أشاء ، ما دمت خطيبك .

— ومن قال إن هذا يمنحك الحق فى فرض رقابة ثقافية علىّ ؟

— أنا أقول ذلك ؟ .

— ومن تظن نفسك ؟



— أنا خطيبك ، وابن خالتك ، وفوق هـذا وذاك ، أنا ( حازم مختار ) ، أشهر مهندس معمارىّ فى ( مصر ) كلها .

— يا للغرور !

— ليس غروراً .. إنه حقيقة .. إننى أكثر شهرة ونجاحاً وثراءً من حبيبك السابق هذا .

— مَنْ تقصد ؟

— ذلك الوغد ( معتز ) .

— ( معتز ) ليس وغداً .

— أنا أقول إنه كذلك .

— قل ما يحلو لك ، ولكنك لن تقنع طفلا واحداً بذلك .

— إنك ما زلت تحبينه .. أليس كذلك ؟

— هل تغارُ منه ؟

لم يكد الحديث يصل إلى تلك النقطة ، حتى صاح فى غضب :

— أغار ؟! .. أنا ؟! ، وما دخل الغيرة فى ذلك؟

– لأنك خطيبى و ..
– كلاً .. لست أغار .. إننى أحافظ على سمعتى وكرامتى .
– وعلىَّ أنا .
– كلاً .. على سمعتى وكرامتى فقط .
تطلعت إليه فى دهشة ، وهتفت فى استنكار :
– ألا أساوى عندك أن تغار علىَّ ؟
عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة :
– كلاً .
انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :
– اضرب رأسك فى الحائط إذن ، فأنا لن أتوقف عن قراءة مقالات ( معتز ) .
هتف فى غضب :
– إننى أحذِّرك .
أجابته فى صلابة وعناد :
– قلت لك : اضرب رأسك بالحائط .
يومها انصرف غاضباً ، وهو يقسم على أن يجبرها



على طاعته ، مهما لزم الأمر ، فقلت لها فى إشفاق :
– لماذا تصرِّين على معاندته ؟
أجابتنى فى صلابة :
– لأنه يصرّ على التعامل معى بديكتاتورية .
قلت فى دهشة :
– ولكنك كنت تحتملين من (معتز) أضعاف ذلك !
تخضَّب وجهها بحمرة الخجل ، وأطرقت مغمغمة :
– كنت أحبه ، والمثل العامىّ يقول : حبيبك يبلع لك ( الزّلط ) ، وعدوك يتمنى لك الغلط .
سألتها فى قلق :
– ألا تحبين ( حازم ) ؟
هزَّت رأسها نفياً ، وقالت :
– هل نسيت ؟ .. إنه اختيار عقلانى محض .
فى تلك المرة أيضاً ، تمنيت أن أخبرها كم يحبها ( معتز ) ..
وفى تلك المرة أيضاً خشيت أن أكون السبب فى انهيار خطبتها لـ ( حازم ) ..

وحتى لا تتصارع نفسى طويلا، قررت أن أترك الأمر للقدر ..

ولكن ( حازم ) لم يفعل ذلك ..

لقد كان يصرّ على إجبار (عزة) على طاعته، ويبحث عن الوسيلة المناسبة لذلك، إلى أن تفتق ذهنه عنها فجأة..

لقد قرر أن يتزوَّجها ..

نعم .. لقد وجدها الوسيلة الوحيدة لفرض سيطرته الكاملة عليها ..

كانت أوَّل مرة أشاهد فيها زواجاً يتم ، ليسيطر طرف على الآخر فحسب ..

لقد نجح ( حازم ) فى إقناع والدىّ ( عزة ) بإتمام الزفاف ، حتى أن والدتها قالت لها ، عند عودتنا معاً من الكلية :

– إننى أحمل لك خبراً سيفرحك للغاية يا بنتى .

ضحكت ( عزة ) ، وهى تسألها :

– أى خبر هذا ؟ .. هل قرروا تعيينى رئيسة تحرير ، فور تخرُّجى ؟



ابتسمت أمها فى حنان ، وهى تقول :

– بل قرَّرنا تعيينك فى منصب أكثر أهمية ودواماً.

وارتفع حاجباها فى حنان دافق ، وهى تردف :

– منصب زوجة .

هتفت (عزة) فى صوت يحمل الدهشة والاستنكار معاً :

– منصب ماذا ؟

أجابتها أمها فى قلق :

– زوجة يا بنيتى .. أليس هذا ما تتمناه كل بنت فى العالم ؟

صاحت ( عزة ) فى حِدَّة :

– إلاَّ أنا .

بدا الضيق على وجه والدتها ، وهى تقول :

– لماذا قبلت خطبة ( حازم ) إذن ؟

لوَّحت عزة بكفها ، وهى تقول فى حنَق :

– الخطبة شىء ، والزواج شىء آخر .

تسلل بعض الحزم إلى صوت الأم ، وهى تقول :

— الخطبة خطوة نحو الزواج يا ( عزة ) .
بدا الضيق على وجه ( عزة ) ، وهى تقول :
— ولماذا تتعجلون إتمام الزواج إلى هذا الحد ؟
أجابتها والدتها فى حزم :
— لأنه لا مبرر للانتظار ، وإضاعة الوقت ، فـ ( حازم ) يملك كل شىء ، الشقة والأثاث والدخل الجيد ، والسيارة ، وإتمام الزواج اليوم أفضل من غد .
قالت فى حدّة :
— هذا قول الأستاذ ( حازم ) .. أليس كذلك ؟
أجابتها أمها :
— بلى ، ولقد وافقناه أنا ووالدك على كل كلمة فيه .
ثم عاد حاجباها يرتفعان فى حنان ، وهى تستطرد :
— ثم إننى ووالدك نتمنى أن نفرح بزفافك ، قبل أن تعود روحنا إلى بارئها .
أطرقت ( عزة ) فى سكون ، وطال بنا الصمت ، حتى غمغمت والدتها :
— ما قولك يا بنيتى ؟



تمتمت ( عزة ) فى خفوت :
— فليكن ذلك بعد امتحانات آخر العام إذن .
تهللت أسارير الأم ، وهى تقول فى سعادة :
— فليكن يا بنيتى .. فليكن .
وغادرتنا فى فرح ، على حين اصطحبتنى ( عزة ) إلى حجرتها ، وأغلقت بابها خلفنا فى إحكام ، فهتفت بها فى صوت خافت :
— ماذا أصابك ؟ .. لماذا ترفضين إتمام الزواج ؟
راحت تعبث بدرج مكتبها الخاص ، وهى تغمغم :
— لأننى ما زلت أنتظر .
سألتها فى دهشة :
— تنتظرين ماذا ؟
التفتت إلىّ ، وفتحت راحتها ، وهى تقول :
— أنتظر عودته .
وفى كفها ، تألّق ذلك القلب الذهبىّ .. قلب ( معتز ) ..

* * *

## ١٢ ـ المفاجاة ..

اقترب العام من نهايته ، وانهمكنا فى مراجعة دروسنا ، وفى الاستعداد للامتحانات الختامية ، وتحسنت علاقتي بـ ( فوزى ) كثيراً ، على الرغم من أننا نختلف تماماً فى كل المشارب والأهواء ، ولكن ( فوزى ) فى الواقع حنون وطيب القلب ، ومهذب ورقيق للغاية فى تعامله معى ..

يا إلهى ! ! .. كم كدت أنسى تلك الصفات الرائعة لزوجى ، فى خضم خلافاتنا العنيفة فى الآونة الأخيرة ! ..

لقد بذل أقصى جهده ، فى الأشهر الأخيرة للعام الدراسى ، ليراجع لنا ـ أنا و ( عزة ) ـ كل محاضراته ، متحملا ذلك العبء الجديد ، الذى يضاف إلى أعبائه المتعددة ، وخاصة بعد أن صار مقاله اليومى ، أو عاموده اليومى بالتحديد ، هو أول ما يطالعه قارئ الصحيفة ، التى احتل هو منها مركزاً مرموقاً ..

وذات يوم ، وقد أصبحنا على مشارف نهاية العام ،



كنا نجلس فى مدرج الكلية الرئيسى ، ننتظر محاضرة هامة ، عندما دخل عميد الكلية إلى المدرج ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة واسعة ، وقال فى سعادة واضحة :

ـ أبنائى الطلاب .. أحمل إليكم اليوم مفاجأة سارة تبعث فى أعماق كل السعادة والفخر .

غمغمت ( عزة ) مداعبة :

ـ أرجو أن يقوموا بإلغاء امتحانات آخر العام .

ابتسمت لدعابتها ، واستمعت إلى العميد ، الذى واصل حديثه ، قائلا :

ـ لقد فاجأنا اليوم واحد من أبناء الكلية ، بزيارتها ، وهو زميل سابق لكم ، لم يمض على تخرجه سوى عام واحد ، إلا أنه قد بلغ شأواً يدعو للفخر فى واحدة من أشهر صحف إحدى البلدان العربية الشقيقة .

شعرت بقبضة ( عزة ) تحيط بذراعى فى قوة ، وهى تتمتم فى صوت متحشرج :

ـ هو يا ( سوسن ) .. هو .

بدأ قلبى ينبض فى عنف ، وأنا أقول :

- ربما يا ( عزة ) .. ربما .

ازدادت تشبثاً بذراعى ، وهى تهتف :

- إنه هو .. أنا واثقة من ذلك .. قلبى يؤكِّد أنه هو ..

لم تكد تتم عبارتها ، حتى كان العميد يشير إلى باب المدرَّج ، قائلا فى مزيج من السعادة والفخر ، والاعتزاز :

- زميلكم ( معتز ) ..

التهبت أكف الجميع بالتصفيق ، وشعرت بـ ( عزة ) ترتجف ، كريشة فى مهب الريح ، عندما دلف ( معتز ) إلى المدرَّج ..

كان أشد شحوباً من آخر مرة رأيته فيها ، وعلى الرغم من مرور أقلّ من عام واحد على لقائى له ، فقد لاحظت أن الشيب قد بدأ يسرى فى فوْديه ، وكأنما يحمل على كاهله ما ينهكه ويثقله ..

واستمر التصفيق لثلاث دقائق كاملة ..

واستمر جسد ( عزة ) يرتجف لخمس دقائق ..



ثم تحدث ( معتز ) ..

تحدث فى هدوء ورصانة كعادته ، وألقى كلمة قصيرة وافية ، عادت بعدها أكفّ الجميع تلتهب بالتصفيق ..

ثم صافحه العميد ..

وفى لحظة المصافحة ، شعرت بأن قلب ( عزة ) سيتوقف ، بعد أن أطلقت شهقة قصيرة مكتومة ، حملت كل جزع العالم ولوعته ..

لقد التمعت فى كف ( معتز ) اليمنى دبلة خطبة ذهبية ..

لحظتها انهارت كل سعادة ( عزة ) ..

إننى لم أرها أبداً أشد شحوباً من ذلك ..

لقد عادت معى إلى المنزل ، وأنا أكاد أحملها ، من فرط ما أصابها من ضعف ومرارة ، وألقت جسدها على فراشها ، وراحت تبكى فى حرارة ، دون أن أجرؤ على مواساتها بحرف واحد ..

وطوال بكائها ، لم تنطق سوى بكلمة واحدة ، راحت ترددها بلا كلل .

ـ لقد فقدته .. لقد فقدته ..

تركتها ـ كالمعتاد ـ تبكى ، حتى جفّت دموعها ، ثم قامت إلى درج مكتبها ، فالتقطت منه تلك العلبة المخملية ، وفتحتها ، وتأملت القلب الذهبي المستقر داخلها لحظات ، ثم انتزعته منها ، واتجهت نحو نافذتها فى حزم ، فأسرعت أتشبّث بها ، هاتفة :

ـ ماذا ستفعلين ؟

أجابتنى فى حِدّة :

ـ سألقيه .. لقد أصبحت أكرهه .

هتفت بها :

ـ ولكنه من الذهب الخالص !

صاحت فى مرارة :

ـ حتى ولو كان قلباً حقيقيًّا .. إننى لن أحتفظ به .

قلت فى محاولة لمنعها من تحطيم رمز حبها :

ـ مهلاً .. من أدراك أنه هدية ( معتز ) ؟ .. إنه لم يكن يحمل أية توقيعات .



ترددت لحظة ، ثم قالت :

ـ أنا واثقة من أنه هديته .

ـ لماذا ؟

ـ قلبى يقول ذلك .

ـ هل تثقين بقلبك حقًّا ؟

ـ إلى حدّ ما .

ـ سليه إذن ، أما زال ( معتز ) يحبك ؟

ـ إننى أرفض أن أسأله .

ـ لماذا ؟

ـ لأننى علمت اليوم فقط أن ( معتز ) لم يحبنى أبداً ..

ـ أبداً ؟! .. من أين واتتك هذه الفكرة العجيبة؟

ـ من استرجاع ذكريات كل ما حدث .. أنسيت أنه قد أهاننى فى الكلية .

لست أدرى لِمَ كرهت أن أراها على هذه الصورة ؟ ..

لقد أحزننى جدًّا أن تتهم ( معتز ) بالخيانة ..

وشعرت – فى هذه المرة – أن السر الذى أحمله فى أعماق يثقل كاهلى ..

لأول مرة أشعر بعجزى عن الاحتفاظ به ، مهما كانت النتائج ..

وزفرت فى قوة ..

لا ريب فى أن الزفرة قد قفزت من أعمق أعماق صدرى ، ومن أغوار أغوار نفسى ، إذ أن ( عزة ) قد التفتت إلىَّ فى دهشة بالغة . وسألتنى فى حيرة وقلق :

– ماذا بك ؟

أجبتها فى خفوت :

– لدىَّ سر ، أحب أن أخبرك به .

سألتنى فى دهشة :

– أى سر ؟

أجبتها فى خفوت :

– سر يختص بـ ( معتز ) .

حدَّقت فى وجهى بدهشة بالغة ، وهى تغمغم :



– ( معتز ) ؟.

لم أطق صبراً أكثر من ذلك ، فاندفعت أروى لها كل كلمة نطق بها ( معتز ) ، فى لقائى معه ، صباح خطبتها ، واستمعت هى إلىَّ بوجه ممتقع ، يزداد شحوباً فى كل لحظة ، حتى انتهيت من روايتى ، فلبثت صامتة بضع لحظات ، تحدِّق فى وجهى كالذاهلة ، أو كما لو أنها لا تصدِّق حرفاً واحداً مما أخبرتها به ، ثم غمغمت فى خفوت شديد :

– إذن فقد كان يحبنى .

أطرقت بوجهى فى أسف ، وأنا أتمتم :

– لقد سافر وهو يذوب حبًّا لك .

– وهذا القلب الذهبى هديته ؟!

– لست أدرى يا ( عزة ) .. صدقينى .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة ، وهى تقول فى هيام :

– إنه هديته .

وضمَّت القلب الذهبىّ إلى صدرها فى حنان ووله ،

ثم لم يلبث الجزع أن ارتسم فى ملامحها بغتة ، وهى تهتف :

– يا إلهى ! ! .. لماذا فعلت بى ذلك يا (سوسن)؟.. لماذا أخفيت عنى ذلك ؟

غمغمت فى ألم :

– كنت أتصوَّر أننى أفعل ذلك لمصلحتك .

صرخت فى مرارة :

– مصلحتى ؟! .. لقد حطمتنى يا ( سوسن ) .. حطمت حبى .

بكيت بدموع الندم ، وأنا أقول :

– صدقينى يا ( عزة ) .. إننى لم أقصد ذلك .. لم أقصده أبداً .

هبَّت من معقدها ، وهى تهتف :

– لابد أن أذهب إليه .. لابد أن يعلم أننى مازلت أحبـــه .

تشبَّثت بها ، وأنا أهتف فى جزع :

– رويدك يا ( عزة ) ، لم يعد هذا يصلح الآن .



هتفت فى استنكار :

– لماذا ؟ .. إننى أحبه ، وهو يحبنى ، وسأفسخ خطبتى لـ ( حازم ) على الفور .

صحت بها فى ألم :

– وماذا عنه ؟ .. أهو على استعداد لفسخ خطبته من أجلك ؟

امتقع وجهها بغتة ، وانهارت على مقعـدها ، مغمغمة فى مرارة :

– يا إلهى ! ! .. لقد نسيت .. لقد نسيت أمــر خطبته تماماً .

وعادت تجهش ببكاء مرير ..

وعندئذ فقط أدركت دَوْرى ..

أنا أفسدت الأمر ..

وأنا سأصلحـــه ..

أقصد أننى أتجشَّم ذلك ، وهذا كل ما أملك ..

* * *

## ١٣ ــ وعاد الحب ..

استقبلني ( معتز ) ، في منزله ، بترحاب وحرارة بالغين ، وكأنما تعيد إليه رؤيتي ذكرى ( عزة ) ، وسألني عن أحوالي ، وعن ( فوزي ) في اهتمام بالغ ، ثم صمت لحظات ، وتضرَّج وجهه بحمرة الخجل ، قبل أن يضيف في خفوت :

ــ وكيف حال ( عزة ) ؟

أجبته في خفوت مماثل :

ــ بخير والحمد لله .

تردَّد لحظة ، ثم سألني في صوت أشد خفوتاً :

ــ وكيف حال خطيبها ، الباشمهندس ( حازم ) ؟

كان هذا هو السؤال الذي أنتظره ، ولقد أجبته في سرعة :

ــ إنه لم يعد خطيبها .

خيِّل إليَّ أن جسده كله قد ارتجف بغتة ، وهو يسألني : ماذا تعنين ؟



قلت ، وأنا أضغط كل حرف من حروف كلماتي :

ــ لقدْ فسخت خطبتها به .

احتقن وجهه لحظة ، ثم شحب ، وهو يغمغم :

ــ لست أظنه يصلح لها .

أشرت إلى الدبلة ، التي تزين إصبعه ، وأنا أقول :

ــ وهل تصلح خطيبةٌ لك ؟

غمغم في دهشة :

ــ خطيبتي ؟!

قلت متظاهرة بالهدوء :

ــ إنك ترتدي دبلة خطبة .. أليس كذلك ؟

رفع كفه إلى وجهه ، وحدق في الدبلة في دهشة ، وكأنه يراها لأول مرة ، ثم سألني بغتة :

ــ لماذا فسخت ( عزة ) خطبتها لـ ( حازم ) ؟

أجبته في هـــدوء :

ــ لأنها لم تكن تحبه .

وصمت لحظة ، قبل أن أضيف في عمق :

ــ إنها تحبك أنت .

هـذه المرة انتفض جسـده فى وضـوح كامل ،
لا يقبل الشك ، وهو يهتف :

– تحبنى أنا ؟!

ثم تهلّلت أساريره ، وهـو يهب من مقعده ، ويتشبّث بكتفى ، صائحاً فى سعادة رائعة :

– أأنت واثقة يا ( سوسن ) ؟ .. أمازالت تحبنى ؟

أسعدتنى فرحته ، وأجبت فى صوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

– إنها لم ولن تحب سواك .. ليتك ترى كيف تحتفظ بذلك القلب الذهبى ، الذى أهديته إليها .

هتف فى سعادة :

– إنه قلبى يا (سوسن) .. لقد أعطيتها قلبى .

أجبته فى فرح :

– هى أيضاً منحتك قلبها يا ( معتز ) .

ثم أردفت فى حزن :

– ولولا خطبتك ..

هتف فى دهشة :



– خطبتى ؟!

ثم عاد يرفع كفه إلى وجهه ، وأطلق ضحكة مرحة ، قبل أن يردف :

– دعك من هذا .. سينتهى كل شىء على مايرام .

ولم تكد تمضى ساعة واحدة ، حتى كنا أنا وهو فى منزل ( عزة ) ..

لقـد استقبلتنا والدتها بدهشـة بالغـة ، ولكننى شرحت لها الأمر فى إيجاز وسرعة ، فبكت فى حرارة ، وسمحت لـ ( معتز ) بزيارة ابنتها فى حجرتها ..

وفى هدوء ، فتح ( معتز ) باب الحجرة ..

كانت ( عزة ) توليه ظهرها ، وهى تضع القلب الذهبى أمامها ، وتبكى بدموع صامتة ..

وفى هدوء ، اقترب منها ..

وبكل حب الدنيا ، همس :

– قلبى يبرق أكثر .

رأيت جسدها كله يرتجف ، وهى تلتفت إليه ، وتهتف فى صوت متحشرج :

– ( معــتز ) ؟!
احتضن كفيها براحتيه ، وعاونها على النهوض ، وهو يهمس فى حب :
– نعم يا حبيبتى .. إنه أنا .. ( معتز ) .. لقــد أضعنا من عمرنا عاماً كاملا ، ولا ينبغى لنا أن نضيع لحظة واحدة إضافية .
غمغمت ، وهى تبكى بدموع السعادة :
– إننى لم أنسكِ لحظة واحدة يا ( معتز ) .. لقد احتفظت بالقلب الذهبى دوماً .
همس فى حنان :
– تخلَّىْ عنه إذن يا حبيبتى ، وهاك قلبى النابض بحبك .
سـالت دموع الفـرح على وجنتيهـا ، وأطرقت برأسها ، فاصطدم بصرها بالدبلة الذهبية فى إصبعه ، مما جعلها تغمغم فى حزن :
– ولكن هنـاك من سـيدفع ثمن حبنا هــذا يا ( معــتز ) .



غمغم فى هيام :
– لن يدفع ثمنه سوانا .
تمتمت فى ألم :
– وماذا عن خطيبتك ؟
أطلق ضحكة مرحة ، ورفع كفه أمام وجهها ، مغمغماً :
– أتقصدين صاحبة تلك الدبلة ؟
أومأت برأسهـا إيجـاباً ، فأطلق ضحكته المرحـة مرة أخرى ، وقال :
– اطمئنى .. إن ارتباطنا سيفرحها للغاية .
هتفت فى دهشة :
– كيف ؟
خلع الدبلة من إصبعه بكل هدوء ، وأدناها من وجهها ، فارتفع حاجباها فى حب وحنان ، وهتفت :
– ( معــتز ) .
همس فى حب :
– ( عــزة ) .

سالت دموع سعادتها ، وهى تغمغم :

ـ أحبك .

غمغم بدوره :

ـ أحبك .

لحظتها تمنيت أن أعرف ماذا قرأت ( عزة ) على الدبلة ، وبعدها ـ بعد أن عرفت ، شعرت أننى غبية ، لأنه كان من المفروض أن أستنتج ذلك على الفور ..

لقد كانت الدبلة تحمل نقشاً لقلب صغير ، حُفِرَ فيه اسم ( عزة ) ، وإلى جواره تاريخ أول لقاء صريح لهما ..

لقد كان ـ هذه المرة أيضاً ـ يمنحها قلبه .. وإلى الأبد ..

* * *



## ١٤ ـ زوجى ..

ما زال موقف ( عزة ) من تلك العلاقة يدهشنى ، على الرغم من مرور عشر سنوات تقريباً ، على زواجها من ( معتز ) ..

كل شىء تغير ، فى هذه السنوات العشر ..

لقد تخرَّجت ( عزة ) بتقدير جيد ، ولم تتقدم أبداً للحصول على وظيفة ما ، بعكس ما كنا نتوقعه لها جميعاً ..

لقد اكتفت بمنصب ربة أسرة ، تغمر زوجها وولديها بكل الحب والحنان ..

وهى تطيع ( معتز ) طاعة عمياء ، تُثير حنقى فى كثير من الأحيان ..

صحيح أنه يعاملها بكل حب وحنان ورفق ..

وصحيح أنه لا يرغمها أبداً على طاعة أوامره ..

إلا أن طاعتها له تثير حنقى لسبب مجهول ..

ربما لأننى أنصح كل قارئة ، ترسل مشكلتها إلى بابى ، بأن تكون لها شخصية مستقلة قوية ..

وربما لأننى أسعى منذ زمن ، لاكتساب تلك الشخصية القوية المستقلة ..

ولكن من العجيب أن السعادة ترفرف دوماً على منزل ( عزة ) و ( معتز ) ، على الرغم من أنهما يخالفان كل ما أُنادى به ، حول تحرير المرأة ، وضرورة حصولها على شخصية مستقلة ..

لقد عاتبت ( عزة ) يوماً ، على طاعتها الشديدة لـ ( معتز ) ، فابتسمت فى مرح ، وهى تقول :

— ولِمَ لا ؟.. إنه إنسان رصين عاقل لا يأمرنى أبداً إلا بما فيه صالحى ، وهو زوج محبّ حنون ، يغمرنى ويغمر طفلته برعايته .

هتفت بها :

— وماذا عن شخصيتك المستقلة ؟

ضحكت ، قائلة :

— طاعة زوجى لا تسىء إلى شخصيتى أبداً



يا ( سوسن ) ، وإلا ما أمرنا بها الله (سبحانه وتعالى) ..

غمغمت فى استنكار :

— وطموحك العملى .

أجابتنى فى سعادة :

— إنه يفوق طموحك أنت عشرات المرات يا ( سوسن ) .

هتفت فى استنكار :

— كيف ؟

أجابتنى ضاحكة :

— أقصى ما تتمنينه أنت هو أن تصبحى رئيسة تحرير ، وإذا ما نجحت فى تحقيق ذلك الطموح ، فسينتهى كل شىء ، عند بلوغك سن الستين ، حيث تحالين إلى التقاعد ، أما طموحى أنا ، فهو أن أصبح امبراطورة إلى الأبد .

غمغمت فى دهشة :

— امبراطورة ؟

ابتسمت فى حنان ، وهى تشير إلى منزلها ، قائلة :

– نعم يا ( سوسن ) ، وهـــذا المـــنزل هـــو امبراطوريتى ، وشعبى هو زوجى وأبنائى .. أحرص على راحة الأول ، وأدفعه دوماً إلى الأمام ، وعلى حسن تربية الآخرين ، لتصبح امبراطوريتى أقوى .

ثم مالت نحوى ، واستطردت فى حب :

– صدقينى يا ( سوسن ) .. هـذا هو الطمـوح الحقيق ..

لقـد أنجبت ( عـزة ) ابنتها الثانيـة هـذا المساء ، وكانت زيارتى وزوجى لمنزلهـا هى و ( معـتز ) سر خلافنا ، فكما قلت لكم فى البداية .. لقد رأى فى دفء حياتهم كل ما يتمناه ..

ولكننى أملك طموحاً لا حدَّ له ..

صحيح أن وساطة ( فوزى ) ، هى التى جعـلتنى ألتحق بتلك المجلة ، وصحيح أننى أعمل منذ تسع سنوات فى الباب نفسـه ، ولكننى أطمح إلى أن أصبح يوماً مديرة تحرير ، أو حتى رئيسة قسم ..

بالتأكيد سينتهى كل ذلك فى الستين ..



فى سن التقاعد ..

ولكن هذه سُنَّة الحياة ..

سأكتفى يومئذ بالجلوس مع زوجى ، وأبنائى و ..

ولكن هل سيبقى لى زوجى ، حتى يحين ذلك اليوم ؟

هل سيحمل لى عندئذ ذرة من الحب والتقدير ؟ ..

بل هل سأبقى أنا ؟ ..

وهل سيبقى أبنائى على حبهم لأم أهملتهم من أجـل طموحاتها ؟ ..

يا إلهى ! ! .. الأمر يحتاج إلى التفكير بالفعل ..

بل إلى قرار ..

قرار حاسم ..

معذرة أيها القراء .. سأكتفى بهذا القدر ..

سأكتفى بتلك الرواية الموجزة ؛ لأنه هناك عمـل هام ينبغى أن أقوم به ..

لقد قررت أن أمتنع عن التدخين ، وأن أهتم كثيراً بمظهرى ..

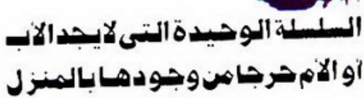
وسأكتب استقالتى الآن ..
لا تجعلوا هذا يدهشكم ، فهو لا يعنى سوى أمر واحد ..
لقد تضاعف طموحى كثيراً ..
لقد قررت أن أصبح امبراطورة ..

* * *

( تمت بحمد الله )

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى




المؤلف



د. نبيل فاروق

## لك قلبى

إنها قصة شابين ،
أحب كل منهما الآخر ،
على الرغم من اختلاف
مشاربهما ، وأبى القدر إلا أن
يفرّق بينهما ، بعد أن هتف
كل منهما للآخر ..
(لك قلبى) ..




الثمن فى مصر
ومايعادل دولارا أمريكيا فى سا[illegible] العربية والعالم